الرّسُول كأنك تراه

حديث أم معبد

عبد العزيز الرّفاعي



من دفاترى

١

الرسول كما أنك ترآه

حديث أم معبد

عبد العزيز الرفاعى

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
منشورات

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب: ١٥٩٠
الرياض ١١٤٤١
هاتف ٤٧٧٧٢٦٩

الغلاف من تصميم الفنان:
محسن منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ أُنسٍ رَضِيَ الله عنه قال:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا نظر في المرآة قال:
الحمد لله الذي سوى خَلقي وأحسن صورتي
وزان مني ما شان من غيري".

رواه البزار

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده والصلاة والسلام
على صاحب المعجزات سيد الأولين
والآخرين ..
محمد بن عبد الله .. الصادق
الأمين .

مقدمة

لهذه الرسالة قصة حقها أن تقال ، بين يدي هذا الكتاب ..

ذلك أن أخى ، وصديقى وصهرى الدكتور «عبد العزيز محيي الدين خوجة» ، يعلم ولعى بسيرة رسول الله ﷺ ، وسيرة أصحابه الأبرار وأننى لا أنفك قارئاً أو كاتباً فى هذا المجال ، ما وسعنى إلى ذلك سبيل .. ولعل ذلك ما حمله أن يقترح عليّ أن أكتب شيئاً فى هذه السيرة العطرة ، بالإضافة إلى ما أكتبه فى فترات متقطّعة من سيرة أصحابه ، كما فعلت فى رسائلى (كعب بن مالك) و (أم عمارة) و (ضرار بن الأزور) و (زيد الخيل) .. ما صدر فى سلسلة (المكتبة الصغيرة) أو غيرها .

وقد صادف اقتراحه هوى فى نفسى .. رحّب به وجدانى .. وهزّ منه الأعماق .. وردّنى هذا الاقتراح إلى أول عهدى بهذا الولع بسيرة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

كنت فتى فى حوالي التاسعة عشرة ، تخرجت من المعهد العلمي السعودي بمكة (قسم المعلمين) وأصبحت معلماً فى المدرسة العزيزية الابتدائية ، التى درست بها .. وكان من بين المواد التى عُهد إليّ بتدريسها مادة السّيرة للسنة الثالثة الابتدائية .. وارتاحت نفسى إلى تدريس هذه المادة .. وأخذت أدرّسها لطلبتى فى قالب قصصي ، فقد كنت مولعاً بالقصة أقرأها لا أملّ ! . وفكّرت أن أضع فيها كتاباً أطبِّق فيه ذلك القالب القصصي .. بل أحسبنى قد وضعته .. ثم لم يطل عهدى بالتدريس ، إذ لم تكن إلاّ سنة دراسية واحدة ، ثم آليت أن لا أرجع إليه .. ولكن عهدى بالسيرة وما يحفّ بها لم ينقطع ، أعود إليها كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً .. وإن كنت لا أعلم بعد ، أين صار ذلك الكتاب الذى وضعته وأنا دون العشرين .. ؟

وكنت خلال مطالعاتى ، فى كتب السّيرة النبوية العطرة ، أو ما يتصل بها من تراجم الصحابة ، أقف أحياناً ، هنا وهناك ، متأمِّلاً ، أو مهمّشاً أو متأثِّراً .. وأضع فى بعض الأحايين ملاحظات أعبّر بها عن

بعض تلك المشاعر التى أحسّ بها عبر قراءاتى .. لعلّى أعود إليها ولو بعض حين ..

ولعله كان من أبرز تلك الوقفات .. هامش تركته هنا وهناك عن (أم معبد) الصحابية التى وصفت رسول الله ﷺ ، وصفاً بارعاً كأجمل ما يكون الوصف ، وكأدقّ ما يكون ، وكأبلغ ما يكون ..

وكنت أمنّى النفس ، بين الحين والحين أن أعود إلى أم معبد ، لأقف مليًّا عند وصفها هذا متأملاً ، شارحاً ، باحثاً ، ولكن الأيام كانت تسرقنى فتتمادى .. ولم أحقق من ذلك الأمل شيئاً .

ولكن .. حدث فى إحدى زياراتى القريبة للمدينة المنورة ، أن عقدت العزم أن أفعل شيئاً لتحقيق ذلك الأمل .. كيف وقد جاء أخى الدكتور عبد العزيز خوجه يحرّضنى من جديد ..

كان فندقى فى المدينة إلى جوار مكتبة تجارية فيها الكثير من أمهات كتب التراث .. فاشتريت منها بعض ما ينقصنى من مراجع فيما يتصل ببحثى عن أم معبد .. ورجوت أن أبدأ شيئاً فى مدينة الرسول

الكريم ﷺ ، ولكن وجدت أيامى القليلة فى المدينة المنوّرة تنقضى ، وأنا أقرأ ملهوفاً مستطلعاً فلم أخطّ حرفاً واحداً ، ولكن نفسى كانت تمتلىء بموضوع البحث .. أديره فى إحساسى ، وأجمع أطرافه .. حتى إذا ما عدت إلى مكتبتى .. وجدتنى أجمع مصادرى دائباً نشطاً .

وقد وجدت فى هذا الأمر عجباً .. فقد كنت فى الوقت نفسه ، معنيّاً بكتابة بحث قصير عن الصحابي الجليل (عباد بن بشر) وكنت أوزّع وقتى بين البحثين ، أي بين (أم معبد) و (عباد بن بشر) .

وهنا وجدت الأمر العجيب .. ذلك أننى لا أكاد أفتح مصدراً من مظان البحث عن واحد من هذين الصحابيين ، إلاّ وجدته أمامى .. وكأنه كان هو الذى يبحث عنى .. أو كأنهما يستبقان الظهور .. فحمدت الله على هذا التوفيق ، ومضيت قدماً فى البحث الخاص لكل منهما .

ولقد كنت أحسب ، بادىء ذى بدء ، حينما شرعت أكتب عن (أم معبد) ، أن الأمر لا يعدو أن أكتب مقالاً قصيراً ، أو مقالاً طويلاً

لا يبلغ به الطول لكى يكون كتاباً ، فإن بلغ به ذلك فهو إذن رسالة صغيرة ، ولكنى وجدت البحث يطول ويتشعب .. ووجدتنى مضطراً إلى أن أزمزمه أو ألملمه ، لئلّا يخرج عما أحب له من نطاق .

بل وجدتنى أمام مشروع جديد ، هو أن أكتب عن وصف رسول الله ﷺ كما هو عند مشهورى واصفيه .. واعداً القراء إن شاء الله تعالى أن أستقصي هذا الأمر ، ما استطعت .. ومن الله أستمد العون ، ومنه أسأل التوفيق والقبول .

اللهم صل وسلم على خاتم رسلك ، وسيد ولد آدم ،،،

الرياض ١٠ / ٢ / ١٤٠٢ هـ — عبد العزيز أحمد الرفاعي

حديث أم معبد

نص حديث أم معبد

جاء فى المستدرك على الصحيحين للحاكم ٩ / ج / ٣ « عن حزام ابن هشام عن أبيه هشام بن حبيش بن خويلد ، صاحب رسول ﷺ ، أن رسول ﷺ ، خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، وأبو بكر رضى الله عنه ، ومولى أبى بكر ، عامر بن فهيرة ، ودليلهما الليثي عبد لله بن أريقط ، مرّوا على خيمتي أم معبد الخزاعيّة ، وكانت امرأة برزة ، جلدة ، تحتبى[١] بفناء الخيمة ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها ... فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين[٢] ، فنظر رسول لله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة[٣] .

فقال : ما هذه الشاة ياأم معبد ؟

قالت : شاة خلّفها الجهد[٤] عن الغنم .

قال : هل بها من لبن ؟

---

(١) الاحتباء هو جمع الظهر والساقين بلفافة واحدة كالعمامة ، والعرب تقول : الحبا حيطان العرب ، يراجع لسان العرب مادة حبا ، وسيأتى فى بعض الروايات تختبى بالخاء .

(٢) مرملين : أي أرضهم مرملة لم يصبها المطر فلا عشب بها ، ومسنتين : أي أصابتهم السنة ، أي الجدب ، وروي مشنتين كما فى غريب الحديث لابن قتيبة .

كسر الخيمة : أي فى جانب منها .

(٤) بفتح الجيم وضمها : أي الهزال لقلة العشب .

قالت : هى أجهد من ذلك ..
قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟
قالت : بأبى أنت وأمى . إن رأيت بها حلباً فاحلبها .

فدعا بها رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها فى شاتها فتفاجت[١] عليه ، ودرّت ، فاجترت ، فدعا بإناء يربض[٢] الرهط ، فحلب فيه ثجاً[٣] ، حتى علاه البهاء[٤] ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، حتى أراضوا[٥] ، ثم حلب فيه ثانية ، على هذه ، حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها[٦] ، وارتحلوا عنها فقلّ ما لبثت ، حتى جاء زوجها أبو معبد ليسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً مخهنّ قليل ، فلما رأى اللبن أعجبه قال :

---

(١) تفاجت : فتحت ما بين رجليها تهيؤاً للحلب .
(٢) أي يرويهم حتى يثقلوا . والرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وهو هنا يربض بالباء وفى ابن قتيبة بالياء .
(٣) ثجاً : غزيراً سائلاً .
(٤) علاه البهاء : أي ارتفعت رغوة الحليب .
(٥) أي ارتووا جداً .. أو ثقلوا وطلبوا الراحة على الأرض .
(٦) قد يكون المراد من بايعها من البيع ، أي أعطاها ثمن ما أخذ من حليبها ، أو يكون المراد منه البيعة أي أنّها أعطته البيعة على الإسلام ـ حيث يفسره بذلك بعض شراح الحديث يراجع ٤ / ١٢٢ من هامش « الروض الأنف » .

ـ من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاة عازب حائل ، ولا حلوب فى البيت ؟! .

قالت : لا والله إنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا . قال :

ـ صفيه لى يا أم معبد .

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة[1] ، وسيم قسيم ، فى عينيه وهج ، وفى أشفاره وطف[2] ، وفى صوته صهل وفى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة[3] أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب حلو المنطق لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات يتحدرن ، ربعة ، لا تشنأه من طول ولا تقتحمه العين من قصر[4] ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفّون به ، إن قال

---

(١) فى (غريب الحديث) لابن قتيبة [. تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ١ / ٤٦٣ طبعة ١٩٧٧ م (صقلة) وبعدها : وسيماً قسيماً بالنصب .

(٢) فى المصدر السابق (وفى أشفاره عطف أو غطف) وبعدها (وفى صوته صحل) بالحاء لا بالهاء .

(٣) وفيه أيضاً (كثافة) لا كثاثة .

(٤) فى المصدر السابق (لا يائس من طول ولا تقتحمه عين من قصر) وفيه و (لا عابس ولا معتد) .

سمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

قال أبو معبد :

ـ هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر[١] ، ولقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوت بمكة عالياً ، يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، وهو يقول :

جزى الله ، ربّ النّاس خيرَ جزائِه
رفيقين حلّا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهَدْي ، واهتدت به
فقد فازَ من أمسىٰ رفيقَ محمّد
فيا لَقصى ، ما زوىٰ الله عنكم
به ، من فعال لا تُجَارىٰ وسؤدد
ليهن أبا بكر ، سعادة جدّه
بصحبته ، من يُسعد الله يَسعدِ[٢]

(١) فى المصدر السابق مع زيادة (بمكة) .
(٢) هذا البيت لم يأت فى رواية ابن قتيبة فى غريب الحديث ١ / ٤٦٤ .

ليهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها ، للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها ، وإنائها
فإنكمُ إن تسألوا الشاةَ تَشْهَد[1]
دعاها بشاة حائل فتحلّبت
عليه صريحاً ضرة الشاة مزبد
فغادرها ، رهناً لديها لحالب
يرددها فى مصدر بعد مَوْرد[2]

فلما سمع حسان الهاتف بذلك شبب يجاوب الهاتف ، فقال :

لقد خاب قوم زالَ عنهم نبيهم
وقدّس من يسرى إليهم ويفتدى
ترحل عن قوم ، فضلّت عقولهم
وحلّ على قوم ، بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم
فأرشدهم من يتبع الحق يُرشَد

(١) ولا هذا أيضاً .
(٢) إلى هنا تنتهى رواية ابن قتيبة ، فلم ترد فيها الزيادة التالية .

وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا
عمىً ، وهداة يهتدون بمُهْتَــد

وقد نزلت منهم على أهل يثرب
ركابُ هدي ، حلّت عليهم بأسعد

نبيٌّ يرى ما لا يرى النّاسُ حوله
ويتلو كتابَ الله فى كلّ مَشْهَد

وإن قال فى يوم مقالة غائب
فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد(١)

(١) وردت القصيدة فى ديوان حسان ص ٣٧٦ ، طبعة القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م تحقيق د . سيد حنفي حسنين ، وهي به تسعة أبيات بزيادة البيتين ٤ ، ٥ من قصيدة الهاتف سالفة الذكر .

أورد السّهيلى القصة فى (الروض الأنف) ٤ / ٢٢٠ ، وما بعدها ، وأضاف بعد إيراد أبيات حسان قوله : «وزاد يونس فى روايته ، أن قريشاً ، لما سمعت الهاتف من الجن ، أرسلوا إلى أم معبد ، وهي بخيمتها ، فقالوا : هل مرّ بك محمد الذى من حليته كذا ؟ فقالت : ـ لا أدرى ما تقولون ؟ وإنما ضافنى حالب الشاة الحائل ، وكانوا أربعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ، والرابع عبد الله بن أريقط الليثي»

شرحه وتخريجه

اعتنت كتب السيرة والتاريخ والشمائل وغيرها بهذا الحديث ، فأوردت نصه أو بعض نصه أو أشارت إليه ، وعني بعض المؤلفين بشرح ألفاظه ..

وممن اعتنى بإيراد شرح مفصّل له ، الإمام الزرقاني[١] فى شرحه على (المواهب اللدنية) للإمام القسطلاني[٢] ... وشرحه غيره ، قبله وبعده ، وقد اعتمدته فى شرحى التالى ، مع غيره ، ورجعت أيضاً إلى كتب اللغة ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك ..

(رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة) أي الحسن والبهجة ، أي منير الوجه (أبلج الوجه) مشرقه[٣] ، (حسن الخلق) إما بضم الخاء تقصد أخلاقه لما لمست من حاله مع رفاقه ، أو بفتحها تأكيداً لما وصفت من إشراق وجهه ، (لم تعبه ثجلة) وروي ثجلة بفتح الثاء أو ضمها

---

(١) الإمام الزّرقاني هو : محمد بن عبد الباقي المالكي ١٠٥٥ ـ ١١٢٢ هـ . تراجع ترجمته فى الأعلام .

(٢) هو أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين ٨٥١ ـ ٩٢٣ هـ وهو أيضاً صاحب (إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري) ـ تراجع ترجمته فى الأعلام .

(٣) ومنه الحق أبلج ، كما فى الفائق للزمخشري ١ / ٩٦ الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

والمقصود عظم البطن ، ويروى بالنون والحاء أي نحول الجسم ودقته (ولم تزر به صَعلة) بفتح الصاد والمقصود صغر الرأس أو نحول البدن ، فيكون المقصود بالثجلة الانتفاخ والصعلة أو الصقلة ، النحول[1] ، أي لم يكن بدين الجسم ولا ناحله[2] ، (وسيم قسيم) ، الوسامة الحسن والجمال ، والقسامة ، أنّ ملامحه تقاسمت الحسن ، فكانت كل قطعة منها جميلة فى حد ذاتها[3] (فى عينيه دعج) أي سواد فى الحدقة (وفى أشفاره وطف) أي فى رموشه طول ، وقد جاء فى غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٤٧١ ، فى أشفاره عطف أو غطف ، والمعنى أن تطول الأشفار ثم تنعطف . (وفى صوته صهل) الرواية هنا بالهاء وفى رواية أخرى بالحاء ، والصحل يشبه البحة أي أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يكن حاد الصوت ، وقد جاء فى الحديث : «أنّ ابن عمر كان يرفع صوته بالتلبية حتى يصحل وقال الشاعر :

فقد صحلت من النوح الحلوق[4]

---

(١) فى غريب الحديث لابن قتيبة الصقلة : الخاصرة ١ / ٤٧١ .

(٢) فى (الفائق) المعنى : انه لم يكن بمنتفخ الخصر ولا ضامره جداً ٢ / ٩٧

(٣) وفيه : كأن المعنى : أخذ كل موضع منه من الجمال قسماً ، فهو جميل كله ، ليس فيه شيء يستقبح .

(٤) (غريب الحديث) ١ / ٤٧١ .

وقد جاء «فى شمائل الرسول لابن كثير» فى تفسير الصحل ـ بالحاء (أنه بحة يسيرة فى الصوت من أن يكون حاداً ، قال أبو عبيد : وبالصحل يوصف الظباء .

قال : ومن روى صهل فقد غلط ، فإن ذلك لا يكون إلا في الخيل ، ولا يكون في الإنسان ، قلت : وهو الذي أورد البيهقي . قال : ويروي صحل . والصواب قول أبي عبيد والله أعلم) ا هـ ص ٤٨ .

(وفى عنقه سطع) أي طول وارتفاع ، (وفى لحيته كثاثة) يقال : رجل كث اللحية لاجتماع شعر لحيته فى غير طول ولا دقة ، أي أنها غير طويلة ولا دقيقة ولكنها مجتمعة . (أزج) بفتح الهمزة والزاي وتشديد الجيم ؛ أي دقيق طرف الحاجبين ، (أقرن) : أي مقرونهما ، يلتقيان ويقتربان[1] ، (إن صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما) سما : أي ارتفع ، (وعلاه البهاء) : أي الجمال ، (أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب) : أي أن جماله للمتمعن وغيره سواء ، فمن الناس من إذا نظرت إليه من بعد ، بدا جميلاً ، فإذا تأمّلته عن كثب ، تغير انطباعك ولو بعض التغير ، وإذا كان المقصود بالوصف هو صوته ، فيكون المراد أن جمال صوته متساوٍ من القرب والبعد ، لا يتأثر بارتفاع أو انخفاض .. فهو حلوٌ حسنٌ للمستمع على أيِّ حال . ولعل العبارة التالية تفسر المقصود بجلاء ، فهو (حلو المنطق فصلاً لا نزر ولا هذر) : أي أن منطقة مفصل تفصيلاً ، يتميز بالتأنّي ليدرك السامع والمستمع مراميه ، يفسره قول عائشة رضي الله عنها : «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا» ، وربما كان المقصود أن كلماته فاصلة ليس فيها تردد ولا ترداد فهي ليست نزراً ، أي اختصاراً مخلاً ،

---

(١) جاء فى حديث آخر لهند بن أبى هالة ، أنه كان ﷺ ، أزج الحواجب ، سوابغ من غير قرن ، وفيه نفي لاقتراب الحاجبين ، قال ابن الأثير: وهو الصحيح ، وقال غيره : المشهور ، وقيل فى الجمع بين الحديثين : إن بين الحاجبين شعراً خفيفاً يظهر إذا وقع عليه الغبار فى نحو سفر ، وكان حديث أم معبد سفرياً ، انظر شرح الزّرقاني على المواهب اللدنية ١ / ٣٤٢ .

ولا هذراً ، أي ثرثرة مُملّة ، وهذه هي البلاغة بعينها ، فهي مطابقة مقتضى الحال ، (كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن) أي أن كلماته أو عباراته المتأنية المفصلة الفاصلة ، تتتابع بأناة حبات عقد نظيم يتحدر بعضها إثر بعض ، متناسقة الوقع ، لها رنينها الجميل لدى المستمع . فما أجمل هذ الوصف وما أبرعه وأبدعه !! (ربعة) أي ليس بالطويل ولا بالقصير بل هو بين ذلك ، (لا تشنؤه من طول) : ليس طويلاً طولاً شائناً ، يشذ بطوله عن عامة الناس فيعيبه ذلك ، (ولا تقتحمه عين من قصر) : أي لا تتجاوزه العين لقصر ، فهو كما جاء فى حديث هند بن أبى هالة أيضاً : (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) أي من الطويل) . (غصْنٌ بين غصْنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفّون به) : أي يحيطون به ، (إن قال سمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا) : أي أسرعوا (إلى أمره محفود) : أي مخدوم[1] ، (محشود) : أي عنده حشد : أي جماعة يطيعونه ويهتمون بما يطلب ، ويُعنون به ، (لا عابس ولا مفند) : أي لا يميل إلى اللوم ولا يكثر منه .

(١) فى غريب الحديث لابن قتيبة ما يفيد أن الحضرة هم الأعوان ١ / ٤٧٤ .

تخريجه

هذا الحديث لم يرد فى كتب الصحاح الستة المشهورة ، ولكنه ورد فى المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كما مرّ بنا عند إيراد النص ..

ورواته ، كما هم فيه بحسب سنده :

حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي بالكوفة ، حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخزاز ، حدثنا سليمان بن الحكم بن أيوب ابن سليمان بن ثابت بن بشار الخزاعي ، حدثنا أخي أيوب بن الحكم ، وسالم بن محمد الخزاعي ، جميعاً عن حزام بن هشام عن أبيه هشام ابن حبيش بن خويلد صاحب رسول الله ﷺ .. إلخ .

وبعد أن أورد الحاكم الحديث ، كما مرّ نصه ، قال عند ختامه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .. أي أنه صحيح السند ، وإن لم يخرجه البخاري ومسلم ..

ولكي يقطع الحاكم الشك فى صحة هذا الحديث ، مضى ، بعد ذلك ، يورد أدلّته على صحته ، فقال :

«ويستدل على صحته ، وصدق رواته بدلائل ، فمنها : نزول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بالخيمتين متواتراً فى أخبار صحيحة ذوات عدد ، ومنها : أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهلُ الخيمتين

من الأعاريب الذين لا يتهمون بوضع الحديث والزيادة والنقصان ، وقد أخذوه لفظاً بعد لفظ عن أبى معبد ، وأم معبد . ومنها : أن له أسانيد كالأخذ باليد ، أخذ الولد عن أبيه ، والأب عن جده ، لا إرسال ولا وهن فى الرواة . ومنها : أن الحر بن الصباح النخعي ، أخذه عن أبى معبد ، كما أخذه ولده عنه ، فأما الإسناد الذى رويناه بسياقة الحديث عن الكعبيين[1] فإنه إسناد صحيح عالٍ للعرب الأعاربة وقد علونا فى حديث الحر بن الصباح ، حدثناه أبو العباس محمد بن يعقوب عوداً على بدء ، حدثنا الحسين ابن مكرم البزار ، حدثنى أبو أحمد بشر بن محمد السكري ، حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ، حدثنا الحر بن الصباح النخعي ، عن أبى معبد الخزاعي ، قال :

خرج رسول الله ﷺ ليلة مهاجراً .. فذكر الحديث بطوله مثل حديث سليمان بن الحكم . وأما حديث الخيمتين المعروف برواته ، فقد حدثناه أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ، حدثنا الحسين بن محمد ابن زياد وجعفر بن محمد بن سوار ، وأخبرنى عبد الله بن محمد الدورقي فى آخرين ، قالوا :

حدثنا محمد بن إسحق الإمام ، وأخبرنى مخلد بن جعفر بن حمد ، أن البزار القطيعي يقول :

(١) من خزاعة .

حدثنا مكرم بن محرز عن أبيه ، فذكروا الحديث بقوله بنحو من حديث أبي معبد ، فقلت لشيخنا أبي بكر القطيعي : سمعه الشيخ من مكرم ؟ قال :

ـ أي والله ، حج بي أبي ، وأنا ابن سبع سنين فأدخلني على مكرم بن محرز . إلى هنا ينتهي ما قاله الحاكم في استدلالاته ورواياته[1] .

ولكن الذهبي ، ملخّص المستدرك ، بعد أن لخص ما ذكره صاحب المستدرك ، أضاف قائلاً :

ـ قلت : ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح[1] .

وعلى وجاهة هذا التعليق من الإمام الذهبي ، إلاّ أنه يصح أن يلاحظ عليه : أن الإمام النيسابوري ، صاحب المستدرك لم يقل أن الحديث على شرط الصحيح ، بل اكتفى بأن صحّح إسناده ، وأورد الدلائل على ذلك ، وذكر طرقاً مختلفة له .. كما أن الإمام الذهبي ، كان دقيقاً في استدراكه فلم يطعن في السند ، ولم يضعفه ، خلافاً لما لدى محقق كتاب (الروض الأنف) للسُهيلي وهو شرح سيرة ابن هشام ـ الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، إذ قال معلقاً في هامش الكتاب ، بمناسبة تعليق السُهيلي على حديث أم معبد :

(١) ٣ / ١٠ و ١١ من المستدرك .

«قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوي وابن شاهين ، وابن السكن وابن مندة ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، من طرق حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده[1] » .

صرح الشيخ الوكيل بضعف السند فى الحديث ، ولكنه لم يعلل هذا الضعف ، على أننا قد استفدنا من تعليقه بتعداد الذين أخرجوا الحديث .

وفائدة أخرى مهمة أفادناها الشيخ الوكيل فى هامش آخر له[2] ، فقد أورد نصاً لحديث أم معبد ، لإعجابه بما فيه من أسلوب أدبي ممتاز ، وذكر لنا فى نهاية النص ، أنه نقله من شرح السّيرة لأبى ذر الخشني ص ١٢٦ وما بعدها ، مرجعاً على ص ٤٦٦ ج ١ من الخصائص[3] للسيوطي ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ ج ٢ (زاد المعاد) لأبن القيم[4] ، ثم أورد شرح أبى ذر ، لألفاظ الحديث ، وهو لا يخرج عما أسلفناه ..

وإذا رجعنا – مثلاً – إلى الخصائص الكبرى للسيوطي ، نجده

(١) ٤ / ٢٢١ .
(٢) ٤ / ٢٢٢ الروض الأنف .
(٣) قصده الخصائص الكبرى ، فإن للسيوطي كتابين فى الخصائص ، أحدهما : الخصائص الكبرى ، والثانى : اختصاره (الخصائص الصغرى) ، وكلاهما مطبوع .
(٤) ٢ / ٦٠ طبعة ١٣٩٠ ـ البابي الحلبي ، وذكر ابن القيم القصة والوصف ، وشعر الهاتف .

يقول : (وأخرج البغوي وابن شاهين ، وابن السكن ، وابن مندة ، والطبراني والحاكم وصححه ، والبيهقي وأبو نعيم من طريق حزام ابن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده .. إلخ[١]) .

ومعنى هذا أن حزام بن هشام روى عن أبيه هشام ، عن جده ، وهو حبيش .. وحبيش هو الصحابي ، وهذا هو الطبيعي ، أن تنقل الرواية من الحفيد إلى الابن إلى الجد ، الذي هو أخو أم معبد ، ولكن الرواية لا تتسق هكذا فيما أوردته عن الحاكم ، بحسب النسخة التي بين يدي .. ولعله سقط من الطبع أو النسخ كلمة (عن جده)[٢] .

وما دمنا فى سياق حديث حزام بن هشام ، فلنذكر له حديثاً آخر يتصل بالشاة المباركة ، أورده أيضاً صاحب الخصائص الكبرى ، بعد ذلك الحديث قال :

(وأخرج ابن سعد وأبو نعيم ، من طريق الواقدي ؛ حدثني حزام بن هشام عن أبيه عن أم معبد ، قالت : بقيت الشاة التي لمس ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة[٣] ، زمان عمر بن الخطاب رضي الله

(١) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٨ (نشر دار الكتب العلمية فى بيروت ـ لبنان) .

(٢) جاء فى البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١٩٤ ، قوله فى استعراض روايات الحديث ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي ، عن أبيه محرز بن مهدي ، عن حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله .. وفى هذا تصريح أن الرواية عن أبيه عن جده ..

(٣) سنة ثماني عشرة من الهجرة ، ومعنى ذلك أن أم معبد عاشت إلى زمن عمر رضي الله عنه .

عنه ، وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً ، وما في الأرض قليل ولا كثير)[1] ..

ونجد هشام بن حبيش ، يروى هنا عن عمته .. أم معبد صاحبة الخيمة أو الخيمتين .

وممن عني بإيراد هذا الحديث ، ابن عساكر[2] فى تاريخه .. فقد جاء به باب : (ما جاء فى صفة النبي ﷺ من الأحاديث الطوال) . بدأه بالنص التالي :

قال محمد بن سليمان بن سليط ـ وكان بدرياً[3] ـ لما خرج رسول الله فى الهجرة ومعه أبو بكر الصديق ، وعامربن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله ابن أريقط الليثي يدلهم على الطريق ، مروا على أم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه ، فقال لها : يا أم معبد : هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله ، وإن الغنم لعارية . قال : فما هذه الشاة التي أراها فى فناء البيت ؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. فقال: أتأذنين في حلابها؟ قالت : لا والله ما ضربها فحل قط .. فشأنك

(١) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٩ .
وجاء فى (الروض الأنف) ٤ / ٢٢٨ عن استمرار بركة تلك الشاة ؛ قال هشام بن حبيش : أنا رأيت تلك الشاة وانها لتأدم أم معبد ، وجمع صرمها ، أي أهل ذلك الماء ا هـ .

(٢) ت ٥٧١ هـ .

(٣) أي جده سليط كان بدرياً وهو سليط بن قيس الأنصاري النجاري يراجع الإصابة . الترجمة ٣٤٢٩ ، تحقيق علي محمد البجاوي .

بها.. فمسح ظهرها وضرعها ، ثم دعا بإناء يربض الرهط حوله ، فحلب فيه فملأه ، فسقى أصحابه عللاً بعد نهل ، ثم حلب فيه آخر ، فغادره عندها وارتحل ، فلما جاءها زوجها عند المساء قال : ياأم معبد.. ماهذا اللبن ولاحلوبة فى البيت، والغنم عارية؟! قالت: لاوالله.. إلاأنه مرّ بنا رجل ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه، فى أشفاره وطف، وفى عينيه دعج وفى صوته صهل، غصْن بين غصْنين، لايشان من طول، ولايقتحم من قصر، لم تعله ثجلة، ولم تزر به صعلة ، **كأن عنقه إبريق فضة** ، إذا صمت فعليه البهاء ، وإذا نطق فعليه الوقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظراً ، وأحسنهم وجهاً ، أصحابه يحفّون به ، إذا أمر ابتدروا أمره ، وإذا نهى انتهوا عند نهيه ، فقال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيته لاتبعته ، ولست جهولاً إذا فعلت .. (قال) فلم يعلموا بمكة أين توجه رسول الله وأبو بكر ، حتى سمعوا هاتفاً على رأس أبى قبيس ، وهو يقول :

جزى الله خيراً ، والجزاء بكفه
رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد
فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ وأوفى ذمةً من محمد

٥ م — ٣

وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله
وأعطى لرأس السّابح المتجرد[1]
ليهن بني كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد[2]

ثم قال بعد ذلك : ورواه ابن مندة عن أبى معبد ، وفيه من الزيادات .. إلخ . حيث أورد الحديث على ما يشبه النص الذى أوردته[3] ..

ولقد تعمدت أن أنقل للقارىء ، نص رواية محمد بن سليمان ابن سليط ، لما فيها من اختلاف ـ وإن كان يسيراً ـ عن الرواية المتداولة ؛ لأنه يرويها عن أبيه عن جده سليط وهو أحد الصحابة البدريين[4] .

وهى عدا ذلك تعزز الرواية المشهورة وتؤكدها .. وإن كان فيها ما يستلفت النظر ، مثل إيجاز الوصف ، واستعمال «إبريق فضة» فى التشبيه .. كما أن بعض أبيات الهاتف تختلف عن الرواية المعروفة ،

---

(١) قال شارح ابن عساكر فى الهامش وهو عبد القادر بدران أي أنه أكسى الناس للبرود الجديدة قبل أن تصير مبذلة ، والسابح الفرس الحسنة مدّ اليدين فى الجري ، والمتجرد الذى يسبق الخيل ، ويتجرد عنها لسرعته ..

(٢) قال الشارح المذكور : المرصد ، والمرصاد : الطريق .

(٣) تاريخ ابن عساكر ١ / ٢٢٥ / ط ١٣٢٩ مطبعة روضة الشام ، ترتيب وتصحيح عبد القادر بدران .

(٤) فى طبقات ابن سعد ١ / ٢٣٠ ، وردت الرواية عن أبى معبد نفسه .

ويتميز هذا البعض بتعبير وتصوير شاعريين لا نجدهما فى الأبيات المتداولة .. مثل قوله :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ ، وأوفى ذمة من محمد

وجدير بالملاحظة ، أن هاتين الروايتين كلتيهما ، لم تصرّحا ؛ بأن الهتاف بتلك الأبيات كان صادراً عن الجنّ .. كما جاء فى بعض المصادر[١] .

وقد أورد الإمام (البيهقي ت ٤٥٨ هـ) فى كتاب (دلائل النبوة)[٢] حديث أم معبد ، فى أكثر من طريق ، أولها : حديث أبو نصر عمر ابن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه[٣] ، قال أنبأنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر ، قال حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان ابن ثابت بن يسار الخزاعي الكعبي بقُدَيد إملاء ، قال : حدثنى عمى سليمان ابن الحكم عن جدى أيوب بن الحكم الخزاعي عن حرام

---

(١) لاحظ ذلك محقق كتاب (الروض الأنف) عبد الرحمن الوكيل ٤ / ٢٢١ .
هذا وسيأتى الكلام عن تنازع نسبة هذا البيت ، والذى بعده .
(٢) ١ / ٢٠٣ طبعة ١٣٨٩ هـ الناشر محمد عبد المحسن الكتبي .
(٣) مما يدل على أن هذه الرواية منقولة عن كتاب .

(حزام) بن هشام عن أبيه هشام عن جده ، حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ . . .

ثانيها : حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي ، قال : أنبأنا أبو عمرو بن مطر ، قال : حدثنا محمد بن سليمان بن الحكم ابن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي بقديد ، يعرف بأبي عبد الله بن هشام القافة . قال : حدثنا أبي محمد بن سليمان قال : حدثنا عمي أيوب بن الحكم عن حرام (حزام) بن هشام عن أبيه هشام عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله ﷺ . . .

ثالثها : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، قال أنبأنا أبو عمرو بن مطر ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني ، قال حدثنا مكرم بن محرز بن مهدي ، قال : حدثني أبي محرز بن مهدي عن حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ، قتيل البطحاء يوم فتح مكة ، وهو أخو عاتكة بنت خالد ، أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة ، خرج منها مهاجراً إلى المدينة ، هو وأبو بكر ، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ، ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط : (مروا على خيمتي أم معبد) .. إلخ الحديث .

ثم أورد شعر الهاتف ، وشعر حسان .. ثم قال معقباً :

«لفظ حديث أبي نصر بن قتادة قال : أبو نصر قال أبو عمرو ابن مطر ، قال أبو جعفر محمد بن موسى ، فسألت مكرم[1] عن اسم أم معبد ، فقال : اسمها عاتكة بنت خالد ، وكنيتها أم معبد ، وأبو معبد اسمه أكتم (أكثم) بن أبي الجون ، ويقال له عبد العزى» .

وقد أفادت هذه الرواية النص على اسم أم معبد واسم زوجها وشهرته .

وفي رواية مكرم بن محرز هذا ظاهرة أخرى مهمة أيضاً ، جاءت عن يعقوب بن سفيان النسوي أو الفسوي ، وهي خلّوها من الأشعار على أن تعليقات البيهقي من الأهمية بمكان ، بحيث لا يستغنى عنها الباحث المدقق لروايات هذا الحديث .

ومن تعليقاته المهمة أننا علمنا أن أبا القاسم مكرم بن محرز بن المهدي بن عبد الرحمن بن عمرو الخزاعي ، هو من خزاعة نفسها ، ويبدو أنه من سكان قُديد ذاتها ..

وعلمنا من تعليقاته أيضاً ، أن ممن سمع الحديث من مكرم بن محرز ، ورواه – الشيخ الصالح أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي ، وأنه كان عند

(١) أي مكرم بن محرز بن مهدي المار ذكره .

سماعه ابن سبع سنين[1] ، حينما حج به أبوه وأدخله على مكرم ابن محرز .

وتمتاز تعليقات البيهقي ، أنه أورد تفسيراً ، لغريب الحديث ، وعزاه إلى صاحبه قائلاً :

«وبلغني عن أبي محمد القتيبي رحمه الله ، أنه قال : في تفسير ما عسى يشكل من ألفاظ هذا الحديث قوله : ..» ثم مضى يفسر الألفاظ على النحو الذي تناقلته أو قريباً منه الكتب التى عنيت بتفسير كلمات الحديث .

على أن البيهقي ، عاد مرة أخرى ، إلى حديث الشاة ، فى سياق الحديث عن هجرة الرسول ﷺ ، بعنوان (باب اجتياز رسول الله ﷺ بالمرأة وابنها وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة) .

وقد أورد فيه حديث امرأة لم تسم مرّ بها الرسول ﷺ مع صاحبه ، وهي القصة التى تقول أن رسول الله ﷺ حلب أكثر من شاة ، من شياه عازبة ليس فى ضرعها حليب ، شربوا منها جميعاً ، فأسمته المبارك ، ثم كان أن قدمت المدينة من بعد ، وطلبت لقاء النبي ﷺ ، فأهدت إليه شيئاً من أقط ومتاع الأعراب فكساها وأعطاها .

---

(١) لا يستغرب أن يحفظ الحديث ابن سبع ، فإن الصبيان يحفظون القرآن فى هذه السن ..

لقد علّق الإمام البيهقي على هذه القصة قائلاً :

«قلت : وهذه القصّة ، وإن كانت تنقص عما روينا فى قصة أم معبد[1] ، ويزيد فى بعضها فهي قريبة منها ، ويشبه أن يكونا واحدة ، وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه واحدة والله أعلم»

ثم أورد ما روى ابن اسحق ، وعاد مرجحاً ظنه فى أنهما حديث واحد .

وبرغم هذا الترجيح من الإمام البيهقي ، فإن الإمام ابن حجر ، عندما أشار إلى قصة أم معبد ، فى الجزء الثامن من (فتح البارى) قال (ص ٣٥٢) :

«وقصتها أخرجها ابن خزيمة ، والحاكم مطولّة ، وأخرج البيهقي فى الدلائل عن طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبى بكر الصديق ، شبيهاً بأصل قصتها فى لبن الشاة المهزولة ، دون ما فيها من صفته ﷺ ولكنه لم يسمها فى هذه الرواية ، ولا نسبها فاحتمل التعدد» .

أي أن احتمال التعدد وارد عند الإمام ابن حجر ، بينما الإمام البيهقي ، الذى أورد الرواية لا يرى التعدد ، بل يرجح أنهما قصة واحدة .

---

(١) أي فى الجزء الأول ص ٢٠٣

وهذه الرواية ، تعزز قصة الشاة فى ذاتها ، سواء أكانت الشاة لأم معبد ، أو لغيرها ، وإن كانت شواهد الحال تشير إلى أنها شاة أم معبد ..

ومن الطبيعي أن لا ترد أوصاف النبي ﷺ ، على النحو الذي وصفته به أم معبد فى حديث أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنما شرعت فى ذلك ، بعد أن غادرها الرسول ﷺ ، وبعد عودة زوجها أبى معبد .. قافلاً إلى داره ..

وكفى بحديث (الصديق) تعزيزاً للقصة .. ونجد فى ذلك مصداقاً لما قاله ابن كثير حينما أورد القصة فى (البداية والنهاية) ، فقد قال عن أم معبد : وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً[(١)] .

وفى هذا التصريح من ابن كثير ، وهو من هو حفظاً ورواية وتدقيقاً ، ما يدحض القول بضعف السند .

وعدا كل ذلك ، فإن حزام بن هشام ، راوى الحديث ، فى روايته المشهورة المعروفة المتداولة ، كان ثقة .

يحدثنا (ياقوت) بطرف من أخباره ، فى معجم البلدان فى مادة (قديد) فيقول :

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ١٩٠ القاهرة مطبعة السعادة ، ١٣٥١ هـ .

«وينسب إلى قديد : حزام بن هشام بن حبيش بن خالد بن الأشعر الخزاعي القديدي ، من أهل الرقم بادية الحجاز ، روى عن أبيه وأخيه عبد الله بن هشام ، وعمر بن عبد العزيز ، ووفد عليه مع أخيه ، روى عنه عبد الله بن أدريس والقعنبي عبد الله بن مسلمة ، ومحرز بن مهدي القديدي ، وأيوب بن الحكم إمام مسجد قديد ، ووكيع أبو سعيد مولى بني هشام ، والواقدي ، ويسرة بن صفوان ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، وغيرهم ، وكان ثقة[1] ، وأبوه هشام أدرك عمر بن الخطاب وسافر معه ، وبقي حتى أدرك عمر بن عبد العزيز » .

ولجدير أن تتأكد هذه الثقة ، عندما يحدث حزام عن عمة أبيه .. وعن أحداث وقعت فى قريته ، وموطنه وموطن قومه من خزاعة فقد كانت قديد بلادهم[2] .

وكما مر بنا فإن للحديث رواية عن الحر بن الصباح ، وهذه الرواية عن أبى معبد نفسه[3] ..

---

(١) فى تاريخ ابن عساكر ٤ / ١١٩ ، تفصيل لاتصال أبيه هشام بعمر بن عبد العزيز وذكر عكاشة حزام من الحديث حيث قال عنه : «وكان حزام من أهل مكة ، قاله ابن معين ، وكان ينزل قديداً ، قال ابن سعد : كان ثقة ، قليل الحديث قال ابن أبى شيبة : كان هو وأبوه من الثقات ، ووالده حبيش أخو أم معبد .. وقال الإمام أحمد : حزام لا بأس به فى الحديث ، وقال أبو حاتم : هو شيخ محله الصدق .

(٢) انظر المادة فى (معجم ما استعجم) ، وفيه ما يدل على أن القرية كانت قديماً ذات شأن .

(٣) طبقات ابن سعد ١ / ٢٣٠ .

وقفة تجاه المتن

أما وأن راوي الحديث حزام بن هشام الخزاعي ، ثقة ، وليس مظنّة الكذب ..

فلنلق نظرة متأملة على المتن نفسه ..

سنجد ، أنه بالإمكان أن نجزِّىء الحديث إلى فقرات ثلاث ..

الفقرة الأولى : مكانها قديد ، بلد الراوى ، وهي الفقرة التى تتصل بأم معبد ، وشاتها ، ووصفها للرسول ﷺ ، بعد مجيء أبى معبد ، وسؤاله ..

ولا نجد فى هذه الفقرة شيئاً يستلفت نظر المتأمل ، فالرّاوي من الخزاعيين ، (وقديد) بلده ، أو قريته ، وصاحبة القصة ، عمة أبيه ، وهي امرأة برزة ، تبدو للرجال ، وتبيع وتشترى ، وقد أكسبها ذلك خبرة بالناس وبالحياة ، ودربةً في اللسان ، لا غرو معها أن ينطلق لسانها بهذه الأوصاف ، فهي بلا شك امرأة ذات موهبة ، أو مواهب .. أوتيت صفاء فى الذهن وفى الذاكرة .. فجاء وصفها قطعة أدبية رائعة .. ما أجدرها أن تدرس أيضاً على هذا الاعتبار .. وسيكون لذلك إن شاء الله حديث تال ..

والفقرة الثانية : لم تقع فى قديد ، وهي الخاصة بالشعر الذى ردده الهاتف ، فقد كان مكانه مكة .. وهذا الشعر معزوّ لمجهول ، قالت عنه بعض الروايات أنه للجن ، أو لرجل من الجن ..

وهنا نجد ما يستلفت النظر ، وهو اختلاف المكان عن بلد الراوى .. وإن لم يختلف الزمان .. إذ هو فى الحالتين زمن الهجرة ، منذ خروج الرسول ﷺ إلى المدينة ..

ولكن ينبغى أن لا يغرب عن البال ، أن قديداً لا تبعد كثيراً عن مكة ، وهي تقع فى الطريق بين مكة والمدينة .. وأنها كانت محطة مشهورة منذ العهد الجاهلي .. وأن أم معبد صاحبة دكّان مشهور فى هذا المكان ، ولا غرو أن تتوافد الروايات والأخبار إلى هذا الدكان .. وأن يصل خبر الهاتف إلى أصحابه ومن يحيط بهم ..

ورواية الهاتف معزوة ـ فى الأصل ـ إلى أسماء بنت أبى بكر ، ومعلوم دورها فى الهجرة ، وترددها على غار ثور ، وبعض الروايات ، لا تصرح بذكر الجني ، ولكنها تكتفى بأنه هاتف أي أنه يُسمع ولا يُرى ، وليس بالضروري ، أن يكون هذا الهاتف جِنّياً .. وقد يكون المقصود بلفظ «الجني» ما استجنّ فلم يره أحد[1] .. أي تعمد الاختفاء .. ومن الطبيعي أن يكون هناك من المسلمين فى مكة ، من

---

(١) في لسان العرب : جنّ الشيء يجنّه جنّا : ستره ، وكل شيء ستر عنك فقد جنّ عنك .

يخفى أمره لسبب أو لآخر .. وهذا أقرب أن تطمئن إليه النفس ..

فإذا أضفنا إلى هذا أن ابن هشام فى السيرة حينما أورد قصة الهاتف قال : «حُدثت» بالبِّناء للمجهول ، أي أنه لم يسم راوي الحديث ، لعلة لا نعلمها ، ثم أورد الأبيات[1] .. وإذا علمنا أن ابن إسحق ، لم يكن ذا بصيرة فى الشعر ، أو أن ابن هشام ذاته انتقده فى ذلك ، وأن بعض الشعر كان يلفق تلفيقاً ويدس عليه فيقبله ، إذا علمنا كل ذلك كان من حقنا أن يداخلنا الشك فى مدى صحة هذه الفقرة من الرواية فإذا أضفت إلى ذلك أنه فى نسبة الشعر ، بغضّ النظر عن أبياته كثرة أو قلة ، واختلاف ألفاظ هذه الأبيات أو تداخلها ، فى هذه النسبة ذاتها أكثر من قول :

فهذا صاحب «وفاء الوفاء» يورد ضمن أقواله فى القصة ؛ أن أبا معبد بعد أن عاد إلى الخيمة ، أخبرته زوجته بمن رأت وسقته اللبن ، فعلم أنه رسول الله ﷺ ، فركب راحلته وخرج فى إثره ، يطلب أن يسلم ، فقيل ، إنه قال في طريقه الأبيات[2] .

ولكن على أهمية هذه المقولة ، فإن السمهودي لم يورد مصدره

---

(١) ١ / ٤٨٧ .

(٢) (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) للسمهودي ١ / ٢٤١ الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت .

فيها ، وهو متأخر (ت ٩١١ هـ) ولكنه يضيف بعد إيراد الأبيات قوله :

«وقال الشرقي : بلغنى أن أبا معبد أدركهما ببطن ريم ، فبايع رسول الله ﷺ ، وانصرف[١] » .

وقد تذكر بعض المصادر أبيات الهاتف ، وفيها قوله :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال ، قبل ابتذاله
وأعطى برأس السابح المتجرد[٢]

ويلاحظ ابن سيد الناس ، أن هذين البيتين من شعر أبي أناس الديلي ، رهط أبي الأسود ، ويضيف : (صحابي ، ذكره أبو عمر ، وعمه سارية بن زنيم ، الذي قال له عمر بن الخطاب : يا سارية الجبل ، وكان أبو أناس شاعراً وهو القائل لرسول الله ﷺ .

تعلم رسول الله أنك قادر
على كل حافٍ من تهام ومنجد

(١) نفس المصدر ص ٢٤٢ .
(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ١٨٩ ، طبع دار المعرفة .

وهي طويلة منها :

وما حملت من ناقة فوق رحلها
أبر وأوفى ذمة من محمـــد .

وهي إضاءة جديدة للبحث ، يطلقها ابن سيد الناس .

وإذا رجعنا إلى أبى عمر ، الذى ذكره ابن سيد الناس ، ويعنى به يوسف بن عبد البر ، فى الاستيعاب[١] ، وجدنا الأمر على ما ذكره ، بغض النظر عن أن يكون القائل أبا أناس (بالنون) أو أبا إياس (بالياء) فهو شخص واحد[٢] . أو أن يكون قائله هو ابن أخيه سارية بن زنيم ، المعنيّ بهتاف عمر : يا سارية الجبل ..الجبل .. فقد عزا ابن حجر فى الإصابة هذا الشعر إليه من قصيدة[٣] ، أو أن يكون الشعر ، لابنه أعنى ابن أبى أناس أو أياس (أسيد)[٤] أو لحفيده أعنى أنس بن أسيد بن أبى أناس[٥] ، أو أن يكون قائلها أنس بن زنيم حينما أسلم يوم الفتح ، واعتذر بها عن هجاء فرط منه ، وهذا ما يرجحه (ابن حجر)[٦] ويقول : هو الصواب ...

(١) الاستيعاب : ترجمة أبو اياس الديلي .
(٢) الإصابة : باب الكنى «أبو أناس» و «أبو إياس» وإشارته إلى احتمال أن يكونا شخصاً واحداً .
(٣) ترجمة سارية بن زنيم فى الإصابة .
(٤) الإصابة : ترجمة أسيد بن أبى أناس وترجمة ابنه أنس بن أسيد بن أبى أناس .
(٥) الإصابة : ترجمة أنس بن زنيم .
(٦) الإصابة : ترجمة أنس بن أسيد .

أقول : على احتمال كل هذه الروايات أو الاحتمالات .. فإن أبياتاً من شعر أحد هؤلاء ، أو فلنقل:إن أبياتاً من شعر أنس بن زنيم على ما يرجح ابن حجر ، قد اختلطت بما عُزي إلى الهاتف ..

والعجيب فى الأمر أن من بين هذه الأبيات البيت المشهور :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أعف وأوفى ذمة من محمد

الذى قيل عنه : أصدق بيت قاله الشعراء فى المديح[1] ، وهنا لا ينبغى أن نغفل أن ابن حجر ، قال خلال ترجمته لأنس بن زنيم ، وقصة اعتذاره ، إنه أخرجها ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، حدثني حزام بن هشام بن خالد عن أبيه نحوها[2] .. أي أن الرواية رجعت على نحو ما إلى حزام بن هشام ، راوى قصة الشاة .. فلا عجب بعد ذلك أن ضلت ذاكرة بعض نقلتها ، فأدخل أبياتاً من إحدى الروايتين فى الأخرىٰ ، أو أن يكون اختلاط الأمر على بعض رواتها على نحو ما .. فيما يتصل بالأبيات فذهب بعضها إلى الشاعر المجهول ، أو إلى أبى معبد ، أو إلى حسان بن ثابت ، وذهب بعضها الآخر إلى أنس بن زنيم ، أو إلى غيره من ذوى قرابته ..

---

(١) الإصابة ترجمة أنس بن أسيد ، وترجمة أنس بن زنيم .
(٢) الإصابة ترجمة أنس بن زنيم .

أما الفقرة الثالثة : فهي شعر حسان ، فيصرف النظر عن اختلاف التعابير من (جاوبه حسان) أو شبب حسان[1] ، فإن من الطبيعي أن لا يكون حسان قد أجاب الهاتف فى نفس الوقت .. فالهاتف إنما هتف بمكة ، وحسان بالمدينة .. ولكن تفسير الأمر أن يكون حسان قد بلغته فيما بعد أبيات ذلك الهاتف المجهول فأجابه بما أجابه .. أي أن جوابه كان على فترة من الوقت وتراخٍ فيه ..

ولم تفت مثل هذه الملاحظة على بعض المؤلفين فى السيرة النبوية ، فقد أشار صاحب المواهب اللدنية إلى شيء من ذلك قائلاً :

«فلما سمع حسان ، قال يجاوب الهاتف ، قال فى النور : والظاهر إنما قاله بعد إسلامه » .

والخلاصة أننا نستطيع القول ، أن ما كان مروياً فى هذه القصة عن الخزاعيين مختصاً ببلدهم ، والحدث المهم الذى وقع بها من معجزة الرسول ﷺ ، كان حَريًّا أن نقبله بالدرجة الأولى ..

أما ما عدا ذلك ، فأجدر أن نخضعه لكثير من التأمل والفحص ..

---

(١) فسّر صاحب (لسان العرب) تشبيب حسان بقوله : «وفى حديث أم معبد ، فلما سمع حسان شعر الهاتف ، شبب يجاوبه : أي ابتدأ فى جوابه من تشبيب الكتب ، وهو الابتداء بها ، والأخذ فيها ، وليس من تشبيب بالنساء في الشعر ويروى : نشب ـ بالنون ـ أي أخذ فى الشعر ، وعلق فيه» . تراجع المادة فى اللسان .

وهنا أمر مهم يجب أن لا يفوت الباحث المدقق ، هو أن مما أعان أم معبد ، على أن تصف هذا الوصف الدقيق ، وأن تسهب فيه هذا الإسهاب ، شدة طلب قريش لرسول الله ﷺ ، حتى وضعت مائة رأس من الإبل لمن أتى به .. ولقد التمسوه فى خيمة أم معبد وسألوها عنه ، وأتصور أن هناك أكثر من واحد التمسه وسأل عنه أم معبد .. وأتصور أيضاً أن كل واحد من السائلين كان يصفه لها ، وأن بعضهم يكمل بعضاً فى الوصف .. حتى تكاملت لدى أم معبد ، صورة واضحة لرجل كامل الصفات ، ولم تكن بحاجة إلى كل ذلك .. فقد شاهدته عن كثب .. وراقبت تصرفاته .. التى شدهتها ، كما أن المرأة بفطرتها أشد إدراكاً واستيعاباً لملامح الرجال ، منذ خصها الله بالأمومة ، وطبعها على التعلق بأطفالها وجعلها أشد التصاقاً بهم ، وأكثر إدراكاً لخصائص الملامح والتقاسيم ، ومدى الدقة فيها ، ومواطن اعتدالها ، أو اعوجاجها .

كيف وقد كان أمام أم معبد محمد المثل الكامل .. ؟! وقد رُوي أنها سُئلت : ما بال صفتك لرسول الله ﷺ أشبه به من سائر صفات مَنْ وصفه ؟ (أي من الرجال) فقالت : أما علمتم أن نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل إلى الرجل[١] .

---

(١) إنسان العيون : ٢ / ٢٢٨ ، سيجيء نسبة مثل هذا القول إلى علي بن أبي طالب .

ومن بين روايات قصة أم معبد أو تلك التى تماثلها ، قصة تقول:إنه لما اعتذرت ، أن لا شيء فى الدار ، دعا ببعض غنمها .. فمسح ضرعها ودعا الله ، وحلب فى العُس[1] حتى أرغي ، وقال : اشربى يا أم معبد فقالت : اشربْ فأنت أحق به . فرده عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ، ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ثم تروح ، وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه ، فقالوا : أرأيت محمداً ؟ من حليته كذا وكذا فوصفوه لها ، فقالت : ما أدرى ما تقولون ، قدمنا فتى حالب الحائل ، قالت قريش : فذاك الذى نريد[2] ..

من هذه الرواية يعلم اهتمام قريش بالسؤال عنه ، ولهجهم فى وصفه لأم معبد . الأمر الذى أعانها على تفصيل الوصف ، ولفت نظرها إلى الدقيق من ملامحه ، وفى هذه الرواية ، أن الشاة لم تكن واحدة بل لقد تعددت[3] .

---

(١) العس ـ بضم العين : القدح الضخم .

(٢) ٣ / ١٩٠ / البداية والنهاية لابن كثير .

(٣) يلاحظ على هذه الرواية أنها عددت الشاربين ولم تذكر بينهم أبا بكر .. ولكن هناك رواية أخرى فى المصدر نفسه ، سمت أبا بكر .. ولكنها لم تسم أم معبد ، والقصتان متشابهتان حتى ليقول البيهقي : الظاهر أنها هي ، ينظر : البداية والنهاية ٣ / ١٩١ وما بعدها : واستعراضه لسائر الروايات التى وردت فى الباب جيد .

وقفة فنية

أما جمال النص ، من ناحية أدبية وبلاغية ، فهو أظهر من أن يحتاج إلى تعليق .. وإعجاب الناس بهذا النص قديم ، وهو متداول في أوصاف الرسول ﷺ .. ولقد انعكس شيء من إشعاع الرسول الكريم ﷺ ، على هذا الوصف ، فكساه مزيداً من الجمال .

ولا أريد أن أطيل الوقوف عنده ، إذ يكفي أن يتأمله القارىء ، ليقف على مدى جماله وإلى ما وُفقت فيه أم معبد من أداء بليغ رائع .. ومن مقابلات ، ومن تواتر الصفات .. مستعملة كلمة واحدة تتلوها أخرى لتعطي حشداً حاشداً من النعوت في كلمات قلائل ..

لمن شاء أن يقف ، على سبيل المثال ، على هذه الكلمات متأملاً : الوضاءة ! قسيم وسيم ! أكحل ، أزج ، أقرن ! في عنقه سطع ! كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن .. محفود . محشود ..

وليقف من شاء لدى هذه الصورة الرائعة الفريدة التي تقف فيها كلماته المتأنية الهادئة : كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن .. وليتصور عقداً تتحدر خرزاته واحدة تلو واحدة .. ملتفتاً إلى جمال العقد ، جمال التحدّر الرتيب المتتابع .. أية صورة بديعة هذه !

إن هذا النص لجدير حقاً بدراسة فنية بلاغية يضطلع بها صاحب قلم مختص .

ملحقات القصة

ومما يتصل بقصة الشاة ، فى الرواية التى لم تسم فيها أم معبد ، ولا غيرها من الخزاعيين ، وهي عن أبى بكر الصديق ، وهي الرواية التى أشرت إليها من قبل ، أن المرأة كانت تسمى الرسول «المبارك» لما جلبه على غنمها من بركة إذ كثرت غنمها ، حتى جلبت جلباً إلى المدينة ، فمرّ أبو بكر ، فرأى ابنها فعرفه ، فقال : يا أمه .. هذا الرجل الذى كان مع المبارك .. فقامت إليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذى كان معك؟ قال : أو ما تدرين من هو ؟ قالت : لا ، قال : هو نبيّ الله قالت : فأدخلنى عليه . قال : فأدخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها وأهدت لرسول الله شيئاً من أقط ومتاع الأعراب[1] .

وفي رواية الحر بن الصباح ، نستفيد أن الرسول ﷺ ، شرب آخر الشاربين ، بعد أن سقى أم معبد وبعد أن شرب أصحابه ، ثم قال فى هذه المناسبة : (ساقى القوم آخرهم شراباً)[2] .

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ١٩١ والسياق يرجح أنها غير قصة أم معبد .. لأن المرأة لم تكن تعلم أنه رسول الله خلافاً لواقعة أم معبد فقد علمت بذلك من زوجها ، ومن ناشدين من قريش ، ولا ننسى أنها أجادت وصفه ، وجدير بمن فعلت ذلك أن لا تنسى ملامحه .

(٢) البداية والنهاية ٣ / ١٩٢ .

وسواء أكانت قصة حلب الشاة وقعت لأم معبد ، أو تعددت .. فقد سبق كل ذلك قصة الشاة البكر ، التى كانت ضمن غنم ابن مسعود فى قصة مشهورة دعا له فيها الرسول ﷺ فقال : «إنك غلام معلم»[1] .

وأعود إلى حديث المرأة التى أسْمَتْ رسول الله ﷺ ، الرجل المبارك فقد ورد أن آل أبى معْبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم الذى مرّ بهم رسول الله ﷺ فيه ، ويسمونه يوم الرجل المبارك ، فيقولون : فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك[2] ..

وهذا يدل على تعظيم آل أبى معبد لذلك اليوم ، وأنه يعدّ حدثاً مهماً فى حياتهم ، وكأنهم ألهموا عظم يوم الهجرة ، وأنه جدير بأن يكون تاريخاً للمسلمين أجمعين ليقولوا كلهم كان ذلك قبل الهجرة ، وحدث هذا بعدها .. كما فعل آل أبى معبد ..

وكانت المعجزة الباهرة التي حدثت فى دارهم ذات أثر بالغ فى نفوسهم جميعاً ، فلم تحاول أم معبد أن تحرض الباحثين عن الرسول ﷺ ، بحثاً حثيثاً ليدركوه ، ليكون لها جانب من الجائزة ،

---

(١) يراجع ٣ / ١٩٤ البداية والنهاية لابن كثير وكتب الصحاح .
(٢) الروض الأنف ٤ / ٢٢٧ ، وإنسان العيون ٢ / ٢٢٨ .

فلم تفعل ذلك ، نحو زوجها أبى معبد أو ولدها ، أو أحد من ذوي قرابتها ليلحقوا به .. ولم يفعل ذلك أو مثله زوجها عند عودته ، أو ولدها أو أحد من ذوي قرابتها ، بل كان الإسلام أقرب إليهم من أي شيء آخر .. إذ تقول بعض الروايات أنها بايعته ، كما تقول بعضها إن أبا معبد لحق بالرسول ليسلم ويبايع ، وكذلك كان موقف معبد فيما بعد منبثقاً عن حب كبير ، وكما تتفق قصة أم معبد ، والقصة الأخرى التي لم تسم صاحبتها فى إطلاقهما اسم (الرجل المبارك) على رسول الله ﷺ ، تتفق القصتان أيضاً فى القدوم إلى المدينة ، فقد جاء فى أخبار أم معبد أنها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ، ومعها ابن صغير قد بلغ السعي ، فمرّ بالمدينة على مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق إلى أمه يشتد .. فقال لها : يا أمتاه .. إني رأيت اليوم الرجل المبارك . فقالت له : يا بني ويحك .. هو رسول الله ﷺ (١) .

ويأتى خبر آخر ، فيقول : إن أم معبد هاجرت إلى النبى ، ﷺ ، وأنها أسلمت(٢) .

وتذكر أم معبد أن الشاة التى حلبها الرسول ﷺ ، ظلت شاة

---

(١) الروض الأنف ٤ / ٢٢٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ / ٢٣٢ .

مباركة تحلبها صباحاً ومساءاً ، والأرض جدباء ، أو على حد تعبيرها : كنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

ومما يتصل بحديث خيمة أم معبد ، ما ورد فى ١ / ٢٨٥ من « ربيع الأبرار ونصوص الأخبار » ، للزمخشري ـ تحقيق الدكتور سليم النعيمي فى سلسلة إحياء التراث التى تصدر فى بغداد قوله : عن هند بنت الجون نزل رسول الله ﷺ بخيمة خالتى أم معبد ، فقام من رقدته ، فدعا بماء فغسل يديه ، ثم تمضمض ومج ذلك فى عوسجة إلى جانب الخيمة ، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة ، وجاءت بثمر كأعظم ما يكون فى لون الورس ، ورائحة العنبر ، وطعم الشهد ، ما أكل منها جائع إلا شبع ، ولا ظمآن إلاّ روي ، ولا سقيم إلاّ برىء ، ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلاّ در لبنها ، فكنا نسميها المباركة ، فأصبحنا فى يوم من الأيام ، وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك ، فما راعنا إلاّ نعي رسول الله ﷺ .

ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها ، وتساقط ثمرها ، وذهبت نضرتها ، فما شعرنا إلاّ بمقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فما أثمرت بعد ذلك ، فكنا ننتفع بورقها ، ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط ، وقد ذبل ورقها ،وفيما نحن فزعين إذ أتانا خبر مقتل الحسين رضي الله عنه ، ويبست الشجرة على أثر ذلك

وذهبت ، والعجب كيف لم يشهر أمر هذه الشجرة ، كما شهر أمر الشاة فى قصة هي من أعلام القصص .

هذا نص ما أورده الزمخشري . وقد أغنانى عن التعليق على هذه **الرواية ، ولا أعرف حتى الآن من أوردها غيره ، فالذين أوردوها بعده انما نقلوها عنه ، مثل صاحب (إنسان العيون) أو (شرح المواهب اللدنية) .**

أما هند بنت الجون ، فيبدو أنها أخت أبى معبد فهو ابن الجون أو أبى الجون وقولها:(خالتى) قد لا يكون المقصود به المعنى المراد من اللفظ . ولم أجد لها ذكراً فى كتب الصحابة .

من هيَ أم معبد

بقي أن ألقي أضواء ، بقدر ما تسمح لى المصادر التى بين يدي ، عن أم معبد وذويها ممن أشارت إليهم الرواية المشهورة أو غيرها أو ممن أتى بهم السياق .

اسمها عاتكة ..

ثم يكثر الاختلاف فى اسم الأب وأسماء الأجداد .. وقد اخترت ما جاء فى الإصابة : عاتكة بنت خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة ابن أحرم بن خنيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي (١) .

وهي بهذا النسب كعبية خزاعية .. أسلمت على اختلاف الروايات

---

(١) الإصابة ٨ / ٣٠٦ و ٢ / ٢٧ و ٣٤٦ وفى هوامشه إشارات إلى إختلاف فى النسب وما فى الأسماء من تصحيف .

فى المصادر الحديثة ، لم يترجم صاحب الأعلام لها ، أما صاحب «أعلام النساء» فأورد ترجمتين لأم معبد ، واحدة باسم أم معبد بنت الحارث النبسي وقال : إنها تنسب إليها خيمة أم معبد ، وبئر أم معبد بين مكة والمدينة ومرجعه معجم البلدان ، والفائق للزمخشري ، والثانية لأم معبد الخزاعية ، ومرجعه الوحيد «بلاغات النساء» .

أما المصادر القديمة التى ترجمت لها فكثيرة ، جاء السياق ببعضها و منها عدا الإصابة : الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والبداية والنهاية .

فى تاريخ إسلامها ، وهاجرت إلى المدينة[1] ، أو وفدت إليها ..

عاشت إلى عام الرمادة .. أي إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] صحابية روت شيئاً من الحديث[3] .

زوجها هو أبو معبد ، ولها من الأبناء منه معبد ، ونضرة ، وحنيدة[4] أما أبو معبد فهو أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم ابن ضبيس[5] .

فهو وأم معبد يتصلان فى نسب واحد[6] .. هاجر إلى المدينة مع

---

(١) الإصابة : ترجمة أم معبد ، وفى بعض الروايات أنها أسلمت بعد الحادثة ، وفى بعضها أنها وفدت المدينة مسلمة ، ولكنها حين قدوم الرسول ﷺ إلى خيمتها لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام ، فقد ورد فى بعض روايات قصة الشاة أنها قالت لابنها : أظن هذا ـ واللات ـ الصابىء الذى بمكة انظر طبقات ابن سعد ١ / ١٨٦٨ ، وذلك خلافاً لما جاء فى شرح المواهب ١ / ٣٤٦ ـ أنه ورد فى بقية حديث هشام ، أنها كانت يوم نزل عليها النبي ﷺ مسلمة .

(٢) الإصابة ترجمتها ص ٣٠٧ .

(٣) شرح المواهب اللدنية ١ / ٣٤٠ وقال خرج لها أبو يعلىٰ الموصلي ، وروى ابن السكن حديث نزول النبي ﷺ عليها من حديثها بنفسها من رواية أخيها حبيش عنها .

(٤) البداية والنهاية ٣ / ١٩٠ ويلاحظ أن ابن الأثير حينما أورد ترجمته فى أسد الغابة قال : قيل هو أبو معبد الخزاعي ، كأنه يشك فى ذلك ، وهذا يشير إلى احتمال أن يكون أبو معبد شخصاً آخر ـ أما أبناء أم معبد فى الإصابة ٦ / ١٦٤ معبد ونصرة وخلدية .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) ويلاحظ أنه ورد فى نسبة معبد بدلاً من منقذ وهو ما أرجّحه إذ سمى ولده معبداً ، فيغلب على ظنى أنه على اسم جده فى شرح المواهب اللدنية : ١ / ٣٤١ أن اسم أبيه أبو الجون ، أو الجون فقط .

زوجته[١] ، ومات قبل النبي ﷺ[٢] .

روي أنه كان يشبه عمرو بن لحي الخزاعي ، الذي أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب ، وأنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله .. أيضرني شبهه ؟ قال : لا ، إنك مسلم وهو كافر[٣] .

وقد روى بعض الأحاديث ، منها عنه : قلنا يا رسول الله : إن فلاناً لجريء فى القتال . قال : هو فى النار ! .

وقصة هذا الحديث وقعت فى خيبر ، فيكون قد شهدها[٤] ، ومنها

(١ . ٢) شرح المواهب اللدنية ١ / ٣٤٢ وفيه رواية تقول : إنه خرج فى إثر الرسول ﷺ فأدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف .

وروي عن البخاري فى تاريخه أن أبا معبد مات قبل النبي ، وأن الحديث عنه يعد مرسلاً .. على أنني قد بحثت فى التاريخ الكبير للبخاري فلم أهتد إلى نص يدل على ذلك . ولكن صاحب الإصابة ترجم له فى الصحابة ، وأورد من الأحاديث ما يدل على إسلامه ومشاركته فى الجهاد ، وقال : وهو عم سليمان بن صُرد الخزاعي وهذا كما جاء فى (أسد الغابة) رأس التوابين الذى قتل بعين الوردة طالباً بثأر الحسين رضي الله عنه . تراجع فيه ترجمة (أكثم الجون) .

(٣) الإصابة ١ / ١٠٧ ترجمة ، ويلاحظ أنه لم ترد فيها إشارة إلى قصة الشاة . ينظر أيضاً سيرة ابن هشام ١ / ٧٦ .

(٤) الإصابة ١ / ١٠٨ وأسد الغابة ١ / ١١٣ وقد أورد الحديث بتمامه وخرجه وجاء فى شرح البخاري لابن حجر (فتح البارى) ٩ / ١٣ قوله : وفى حديث أكثم بن أبى الجون الخزاعي عند الطبراني قال : قلت يا رسول الله فلان يجزىء فى القتال ؟ قال هو فى النار ، ودل سياق الحديث على أن أكثم كان صديقاً لذلك الرجل .

حديث : يا أكثم ، اغز مع غير قومك يحسن خلقك ! أو : اغز مع قومك يحسن خلقك وتكرم على رفقائك[1] .

أما ابنها **معبد بن أبي معبد** ، فإن في شخصيته وسيرته ما يستلفت النظر ، ويدعو إلى شيء من التفصيل ، لأهمية بعض المهام التى اضطلع بها لتعزيز موقف النبي ﷺ ضد قريش ..

ومن المعروف ، أن قبيلته خزاعة كانت موالية للرسول ﷺ ، وهي عيبته[2] وقد كان تصرف معبد ، دليلاً حياً على هذا الحب الذى كان مقصوداً بين خزاعة وبين رسول الله ﷺ ، وأصحابه من المسلمين ..

ترجمت له كتب الصحابة[3] ، لصحبته لرسول الله ﷺ ، وله ذكر فى حديث : «عرضت عليّ النار ، وأكثر من رأيت فيها النساء اللاتى إن أؤتمنّ أفشين ، وإن سألن ألحفن ، وإن أعطين لم يشكرن ، ورأيت فيها عمرو بن لحي ـ يجر قصبة ، وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الكعبي ، فقال : يا رسول الله أيخشى على من شبهه فإنه والد[4] ؟ .

---

(١) الاستيعاب ١ / ١٤١ ولم يشر فى ترجمته هذه انه فى الكنى لابى معبد ، لم يورد اسم وأشار إلى قصة الشاة ، وقال إنه مات قبل (موت) النبي .

(٢) أي خاصته . جاء فى (أسد الغابة) ٤ / ٣٩٠ : «وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله ﷺ بمكة -مسنوهم معه لا يخفون عليه شيئاً كان لها» .

(٣) الإصابة ، والاستيعاب ، وأسد الغابة .

(٤) أي جده .

قال : لا .. أنت مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من حمل العرب على الأصنام[1] .

وكان معبد ، قبل إسلامه ، ضالعاً مع المسلمين .. محباً لرسول الله ﷺ ، وهو فى ذلك منسجم مع خطة قومه خزاعة فى مسالمة المسلمين ومعونتهم .

وقد روى الواقدي فى مغازيه ، أن الرسول ﷺ ، حينما خرج مع من حضر أحداً من المسلمين لمتابعة قريش ، وانتهى إلى حمراء الأسد جاءه معبد بن أبى معبد[2] فقال :

ـ يا محمد :. لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك .

ثم مضى مسرعاً حتى لقي أبا سفيان وقريشاً بالروحاء[3] ، وهم

(١) أسد الغابة : ترجمة معبد بن أكثم الخزاعي وسبق أن ورد مثل هذا الحديث في حق أبيه أكثم بن أبى الجون .. ويقول صاحب الإصابة فى ترجمته لأكثم إنه يحتمل التعدد .. فتكون القصة قد وقعت للأب وابنه ، فهما إذن متشابهان ، ويشبهان جدهما الأكبر . كما قال : إن ابن الكلبي جزم بأنه ابن أبى الجون أي معبد .

(٢) المغازي ١ / ٣٣٨ وينظر أسد الغابة ٤ / ٣٩٠ ولكنه أورد الخبر فى ترجمة (معبد الخزاعي) الذى رد أبا سفيان إلخ .. ولم يصرح أنه معبد بن أبى معبد خلافاً للواقدي . وكأنّ ابن الأثير لم يجزم بذلك لأنه قبل هذه الترجمة بسطور ترجم لمعبد بن أكثم الخزاعي ، ولم يورد الخبر هناك ، وفى البداية والنهاية ٤ / ٤٨ عن ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن أبي بكر أن معبد بن أبى معبد ... وبذلك صرح باسمه كاملاً .

(٣) فى (طبقات ابن سعد) ٢ / ٦٠ (وقدم معبد بن أبى معبد الخزاعي مكة بخبر رسول الله ﷺ ، وموافاته بدراً فى أصحابه) .

يحدثون أنفسهم بالعودة إلى المدينة ، ليستأصلوا المسلمين ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : هذا معبد وعنده الخبر .. ما وراءك يا معبد ؟ أجابه :

ـ تركت محمداً وأصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيران ، وقد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس ، وتعاهدوا ألاّ يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم ، وغضبوا لقومهم غضباً شديداً ، ولمن أصبتم من أشرافهم .. قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى تري نواصي الخيل ! قال : لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم ، قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله .. لقد حملني ما رأيت على أن قلت أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهد من الأصوات راحلتي
إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل(١)
تردي بأسد كرام لا تنابلة
عند اللقاء ولا ميل معازيل(٢)
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة
لما سموا برئيس غير مخذول

(١) الجرد : الخيل . الأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . التنابلة الكسالى ، والميل : الذين يجيدون الركوب . المعازيل : الذين لا سلاح لهم

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم
إذا تغطمطت البطحاء بالجيل[1]
إني نذير لأهل البسل ضاحية
لكل ذي إربة منهم ومعقول[2]
من جيش أحمد لا وحش تنابلة
وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنى ذلك أبا سفيان[3] :

وجاء ذكر معبد بشيء مثل ذلك فى (غزوة بدر الموعد) ، عقب يوم أحد فقد بادر بعد خروج النبي ﷺ إلى قريش ليخذلها ، واصفاً كثافة جيش محمد ﷺ ، قائلاً : لقد حملنى ما رأيت أن قلت شعراً :

تهوى على دين أبيها الأتلد
إذ جعلت ماء (قديد) موعدى

---

(١) تغطمطت : ارتجت : الجيل : الصنف من الناس .
(٢) أهل البسل : قريش ، ويراد بقوله أربة منهم ومعقول : لكل عاقل .
(٣) الأبيات اعتمدت فيها البداية والنهاية ٤ / ٥٠ والسيرة ٢ / ١٠٣ .

وماء ضجنان لها ضحى الغد

إذ نفرت من رفقتي محمد

وعجوة موضوعة كالعنجد[١] .

ومن هذه الأخبار نعلم أن معبداً كان شاعراً راجزاً وكان وهو مشرك ، مواداً للمسلمين ، مخذلاً لقريش .. كما أنها تدلنا على أنه حين الهجرة ، وفى وقت مرور رسول الله ﷺ بخيمتي أمه ، كان غلاماً يا فعاً ، أو شاباً فى مقتبل عمره[٢] ..

(١) المغازي للواقدي ١ / ٣٨٩ ، وجاء فى هامشه شرح الكلمات : تهوى : تسرع : دين أبيها : عادته ، الأتلد : الأقدم . والعنجد : حب الزبيب . وجاء فى المتن قول الواقدي : ويزعمون أن حُمَاماً قالها كما جاء فى الهامش قول المحقق ؛ لعله يريد حُمَام بن حصين المري :

أما نص ما ورد فى سيرة ابن هشام ٢ ٢١٠ فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمرّ به معبد ابن أبى معبد الخزاعي فقال وقد رأى مكان رسول الله ﷺ ، وناقته تهوى به :

قد نفرت من رفقتي محمد
وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الأتلد
قد جعلت ماء قديد موعدى

أي أنه أسرع بناقته إلى بلده هارباً متمسكاً بدينه . وضجنان اسم موضع .

(٢) يؤيد ذلك رواية أوردها ابن سعد فى الطبقات ١ / ١٨٥ ، قال أخبرنا علي بن محمد عن يعقوب بن داود عن شيخ من بنى جمح ، قال : لما أتى النبي ﷺ ، أم معبد قال : هل من قرى ؟ قالت : لا . قال : فانتبذ هو وأبو بكر وراح ابنها بشويهات فقال لأمه : ما هذا السواد الذى أرى منتبذاً ، قالت : قوم طلبوا القرى ، فقلت : ما عندنا قرى . فأتاهم ابنها فاعتذر وقال : إنها امرأة ضعيفة ، إلخ ..

وقد ذكر ابن حجر فى الإصابة[1] أنه اشترك فى فتح العراق ، وكان ، عندما قام خالد بن الوليد بقسمة الصحابة المشتركين فى فتح العراق بينه وبين المثنى بن حارثة ـ وذلك عندما عزم خالد التوجه إلى الشام – **كان معبد ممن بقي مع المثنى .**

ولكنه قال : «ومعبد هذا غير ولد أم معبد فإن فى السيّرة النبوية أن معبد الخزاعي ، هو الذى ثبط أبا سفيان عن الرجوع إلى أُحد ليستأصل المسلمين بزعمه ، وأنشد له فى ذلك شعراً ، فإن معبداً بن أم معبد يصغر عن ذلك» .

ثم قال فى موضع آخر :

«وزعم بعضهم أن معبداً هذا هو ولد أم معبد الخزاعية التى مرّ بها النبي ﷺ ، فى الهجرة ، والذى يظهر لى أنه غيره .. وقد تقدم فى ترجمته أنه كان فى الهجرة صغيراً ، وأُحد كانت بعد الهجرة بثلاث سنين أو زيادة ، فيبعد أن يكون فى ذلك السن صار رئيس قومه حتى ينسب إليه ذكر[2] ، وفي قصة أم معبد ما يشعر بأن زوجها أبا معبد لم يكن بتلك المنزلة ، وعندى أن صاحب القصة مع أبى سفيان هو صاحب الأبيات الدالية التي تقدمت» ..

---

(١) الإصابة ترجمة (معبد بن أبى معبد الخزاعي) ، وفى ترجمة (معبد الخزاعي) أي فى موضعين فيدقق .

(٢) أي تخذيله قريش ، واهتمام أبى سفيان بأخباره ونصيحته .

وقد وقفت طويلاً عند هذه الملاحظة من ابن حجر .. فإنها وإن دلّتني على وعي واستنتاج من هذا الإمام الكبير ، وعدم وقوف جامد عند النصوص القديمة ، إلاّ أننى لاحظت ما يأتى :

أولاً : إن صغر سنّ معبد ، ليس كافياً لرد قوله عند أبى سفيان ، فإن أبا سفيان كان فى حاجة إلى أن يتلقف الأخبار من كائن من كان ، كيف ومعبد ، معروف لديه ، فهو ابن صاحبة الخيمة ، وهي معروفة جداً بما وصفت به من أنها كانت برزة تقابل الرجال ، وتبيع وتشترى ، وخيمتها دكان أو محطة مألوفة معروفة ، تحط عندها القوافل الذاهبة والآيبة ..

ثانياً : إن كون معبد عند الهجرة غلاماً ، فهو عقب غزوة أحد شاب ربما ناهز العشرين أو اقترب منها ، وشباب البادية ينضجون فى سن مبكرة ، ويأخذون مأخذ الرجال منذ الخامسة عشرة ، ويشتركون في القتال عند هذه السن أو قريباً منها فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة ..

ثالثاً : لم أر نصًّا ، فيما وقفت عليه من أخبار يدل على أن معبد بن أبى معبد قد أصبح رئيس قومه ، أو كبيراً من كبارهم ، أما أن يكون مسموع الرأي والكلمة عند أبى سفيان ، أو يكون شاعراً راجزاً فهذا لا يحول بينه وبين تحقيقه سن مبكرة تناهز العشرين أو تقترب

منها .. وإن ما نسب إليه من قول أو فعل لا يستكثر على مثله ، خاصة إذا قسنا الأمر بمقاييس ذلك العصر . وطرفة بن العبد ، أحد شعراء المعلقات كان عند مقتله فى العشرين أو حولها .

رابعاً : إن منزلة أبى معبد لا دخل لها فى أمر ابنه أو تخذيله أو نشاطه لصالح المسلمين .. ولم يرد فى أخبار أبى معبد ما يدل على نفي أي منزلة له .. بل ليس هناك سلب أو إيجاب فى هذا الأمر .. بل إن ما ورد من خبره ، يدل على أنه يتمتع بخلق سام ، وتفكير سليم ، أما الخلق السّامي ، فلأنه لم يطمع فى جائزة قريش ليلحق بالرسول ﷺ ، وقد تأكد من وصف أم معبد ، أنه هو المقصود بالبحث .. وأما التفكير السليم فقد أدرك أنه رسول الله ﷺ حقاً لما وصفته من بركته ، ولما صرح به ممن عزم على اللحاق به ، بل تقول بعض الروايات إنه أدركه وبايعه مسلماً ..

خامساً : إن استنتاجات الإمام ابن حجر ، لم تستند على نص أو إثارة من نص .

سادساً : إننى أعتد الرواية التى تقول إن معبداً قدم بشياه كان يرعاها ، وسارع إلى إكرام الضيوف والاعتذار إليهم عن اعتذار أمه ، أعتد هذه الرواية إشارة صالحة لتدل على أن معبداً كان يحسن التصرف ، ويضطلع بمهام الرجال ، فهو أقرب إلى الشاب منه إلى الصبي .. وإن لم يمنع هذا أن يدعى غلاماً .

سابعاً : فإذا أضفت إلى كل ذلك ، أن هناك من يزعم ـ على حد تعبير الإمام ابن حجر ـ أنه هو ابن أم معبد ، فإن ذلك يقوى هذه الأدلة ، ويرجع أنه هو ، من ذلك على سبيل المثال ، أن ابن الأثير ترجم فى (أسد الغابة) لمعبد بن صبيح ، وأنه روى حديث القهقهة فى الصلاة ، وأن الرسول ﷺ قال : من كان منكم قهقه فليعد الوضوء والصلاة ، فقد رواه بعضهم أيضاً عن معبد ابن أبى معبد الخزاعي وقال راوياه : إنه رأى النبي ﷺ وهو صغير لما هاجر رسول الله ﷺ ورويا له أيضاً حديث جابر ، أنه قال : لما هاجر رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضي الله عنه مر بخباء أم معبد .. إلخ .

وقد رجح ابن الأثير أن حديث القهقهة لمعبد بن صبيح ، ولكننا استفدنا من هذا النص أن هناك قولاً بأن معبد بن أبى معبد هو ابن أم معبد صاحبة الخيمة .. وأنه أيضاً روى حديث الشاة وإن كان ابن الأثير لم يصرح حينما ترجم لمعبد بن أكثم الخزاعي ، ولا حينما ترجم لمعبد الخزاعي الذى رد أبا سفيان ـ لم يصرح فى الترجمتين بأنه ابن أم معبد ، ويحدثنا صاحب (المواهب اللدنية)[1] ، أن ابن مندة ترجم لمعبد بن أبى معبد .. ويعنى صاحب القصة .. وبذلك يكون أن هذا الاسم إذا أطلق فإنما يعنى ابن أم معبد .. هذا ما ترجح لديّ والله أعلم .

---

(١) ١ / ٣٤١ .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن معبداً ذكر قديداً فى شعره ، وأن آل أبى معبد أصبح اسماً مشهوراً يعنيهم قبل غيرهم ، فإن ذلك يقوّى هذا الاستنتاج ويدعمه .

ومن الشخصيات المهمة ، التى تتصل بتاريخ أم معبد ، أخوها حبيش[1] بن خالد الأشعر فهو راوى قصتها على المشهور ، رواها لابنه هشام ، وهذا رواها لابنه حزام . نسبه نسبها ، وكنيته أبو صخر ، وأبو خالد[2] ! وقد يقال له حبيش الأشعر أو ابن الأشعر[3] .

وهو صحابي ، شهد فتح مكة مع رسول الله ﷺ ، وكان يومها فى جيش خالد بن الوليد ، ولكنه شذّ أو أخطأ الطريق فى رفقة زميل آخر له هو كرز بن جابر الفهري القرشي ، فقتلا معاً ، وكان مقتل حبيش أسبق ، فعندما أصيب جعله رفيقه كُرز بين رجليه ، ثم أخذ يقاتل عنه ، وهو يرتجز :

---

(١) ويقال أيضاً (خنيس) بالخاء فالنون والياء والسين ، ولكن المشهور والمرجح هو الحاء فالباء فالياء فالشين .. وهكذا ورد اسمه فى صحيح البخاري كما سيأتى .. وترجمه (الإصابة) فى حبيش وخنيس وقال فى الترجمة الأخيرة : والصواب بالحاء ، وكذلك فى أسد الغابة ١ / ٣٧٦ ، وكذلك فى (الروض الأنف) ٧ / ١٠١ وقال أكثر من ألف فى المؤتلف والمختلف يقول : الصواب فيه حبيش ، أما الأشعر أبوه فجزم أنه بالشين لا بالسين .

(٢) سيرة ابن هشام ٤٠٨/٢ و(أسد الغابة) ٣٧٦/١

(٣) الإصابة ترجمة حبيش .

قد علمت صفراءُ من بني فِهرْ نقيّة الوجه ، نقيّة الصّدر
لأ ضربن اليوم عن أبي صخرْ
وظل كذلك حتى قتل هو الآخر[1] .

وقد جاءت قصة مقتلهما فى « صحيح البخاري » فى غزوة الفتح فى حديث عروة بن الزبير :

«وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل النبي ﷺ من كدي ، فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلان : حبيش بن الأشعر ، وكرز بن جابر الفهري[2] . تلتقى معظم روايات قصة أم معبد عند حبيش ، حيث أوردتها بعض كتب الحديث عنه[3] .

---

(١) القصة والرجز فى سيرة ابن هشام ويراجع الروض الآنف ٧ /٦٩ و ٧٠ و١٠١ و١٠٢ و١٠٣ ولم أتبين العلة فى أن يقاتل عن جثة صديقه إلا أن يكون به رمق وإلا فأي معنى ف قوله : لأضربن اليوم عن أبى صخر .

(٢) يراجع فتح البارى ٩/٧٠ ، وهذا النص فى البخاري ينفى أن يكون القتيل أباه (خالد الأشعر) ، كما جاء فى بعض الروايات ، كما أنه يصحح الاسم حبيش بالحاء والباء والشين خلافاً للتصحيفات بالخاء الواردة عن الاسم ، ويؤيد أن القتيل حبيش وليس أباه ما ورد ف فتح البارى أيضاً فى نفس الصفحة من الجزء المذكور قال : عنه أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا حزام بن هشام بن حبيش قال : شهد جدى الفتح مع رسول الله ﷺ .

(٣) جاء فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١١٧ قال : (رواها الطبراني والحاكم وصححها أبو نعيم ، وأبو بكر الشافعي كلهم عن حبيش بن خالد أخى أم معبد ، ورواها ابن سعد والبيهقي وابن الجوزي فى الوفاء عن أبى معبد ، ورواها ابن السكن عن أم معبد) وفى الجزء الأول فى الشمائل ، وشرح غريب ألفاظها .

كان ابنه هشام من رواة الحديث ، وكذلك حزام بن هشام حفيده .. وكانا من الثقات[1] .

وقد نقل تاريخ ابن عساكر ، أكثر من رواية عن حزام تدل على أن أباه هشاماً التقى عمر بن عبد العزيز ، إبَّان خلافته ، فى (قديد) ـ بلدهما ـ أو فى غيرها على ما جاء فى اختلاف الروايات ، وأنه وعظه وقص عليه بعض ما كان من تواضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إبان خلافته وما شهد من أخلاقه ، وأنه كان محل احترام الخليفة عمر بن عبد اعزيز .

وتدل هذه الروايات ، على أن حزاماً كان غلاماً إذ ذاك ، وأن والده كان شيخاً معمراً من كبار التابعين ، أدرك عهد عمر بن الخطاب وامتد به العمر إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، وأن الأخير كان مهتماً بلقائه ، حفياً به[2] . وقد ترجم صاحب الطبقات لهشام بن خالد ضمن رجال الطبقة الأولى من أهل مكة ممن روىٰ عن عمر بن الخطاب ، وقال عنه

(١) جاء فى المصدر السابق ٤ : ١٢٠ قال ابن سعد (أي عن حزام ، كان ثقة قليل الحديث ، وقال ابن أبى شيبة : كان هو وأبوه من الثقات ، وقال الإمام أحمد عن حزام : لا بأس في الحديث ، وقال أبو حاتم : هو شيخ محلهُ الصدق) .

(٢) تفصيل الروايات فى ٤ / ١١٩ و ١٢٠ من تهذيب ابن عساكر ، وفى بعضها (قدم عمر بن عبد العزيز قديداً فأرسل إلى أبى ببغلة) .

أنه كان قليل الحديث سمع عن عمر ، وكان ينزل بقديد ، بأصل ثنية لفت[1] .

وما دمنا بصدد الحديث عن هذه الشجرة المباركة من أسرة أم معبد وفروعها ، فقد يكون من المفيد أن نذكر أن من هذه الأسرة أيضاً سليمان بن صرد بن الجون أو ابن أبى الجون ، أبو مطرّف الصحابي الذى ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة ٥٩٥ م[2] فإن أباه صرد هوأخو أكثم بن الجون[3] ، كان اسمه فى الجاهلية يساراً فسماه الرسول ﷺ سليمان[4] ، له فى الصحيحين خمسة عشر حديثاً[5] وكان من الزعماء القادة شهد الجمل ، وصفين مع علي ، وسكن الكوفة ، وكان ممن كاتبَ الحسين بن علي ، ثم تخلف عنه ، فلما قتل خرج مطالباً بدمه مع مجموعة من الناس أسموهم التوابين وقد رأسهم ، فقتل فى عين الوردة سنة ٦٥ هـ ـ ٦٨٤ م وعمره آنذاك ثلاث وتسعون سنة وكان خيّراً فاضلاً له دين وعبادة وسمي أمير التوابين[6] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٤٦٥ ، وقديد وإن كانت ليست من مكة ولكنها من أطرافها وكان سكانها من خزاعة يعدون من أهل مكة وإن بعدت منازلهم عنها .

(٢) انظر ترجمته فى الأعلام .

(٣) أسد الغابة ترجمة عمه أكثم بن الجون .

(٤) انظر ترجمته فى الإصابة .

(٥) انظر ترجمته فى الأعلام .

(٦) لمعرفة المزيد من سيرته يراجع الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب : ترجمته ، وكذلك الأعلام ، وكذلك المحبر ص ٢٩١ .

قديد

وكما يرى القارىء ، فقد تكرر فى هذا البحث اسم قديد كثيراً ، فهو موطن أم معبد ، وخيمتها ، ووطن أبى معبد وابنهما معبد .. وهو أيضاً من مساكن قبيلة خزاعة المشهورة ، التى والت رسول الله ﷺ وآزرته ..

لذلك ، فقد رأيت أن أضع أمام القارىء صورة موجزة عن هذا الموضع .. وسأبدأ الحديث بما ورد عنه فى بعض كتب اللغة والبلدان ، ثم بما شاهدته على الطبيعة بعد أن قمت برحلة إلى هذه القرية المباركة ..

فى «لسان العرب» قال :

«والقديد : اسم ماء بعينه . وفى الصحاح ؛ وقديد : ماء بالحجاز ، وهو مصغر ورد اسمه فى الحديث . قال ابن الأثير : هو موضع بين مكة والمدينة . ابن سيده : وقديدُ : موضع ، وبعضهم لا يصرفه يجعله اسماً للبقعة ، ومنه قول عيسى بن جهمة الليثي ، وذكر قيس بن ذريح فقال :

كان رجلاً منا ، وكان ظريفاً شاعراً ، وكان يكون بمكة وذويها من قديد وسرف ، وحول مكة فى بواديها كلها» .

وقال (ياقوت الحموي) عنه فى معجم البلدان :

«قديد ، تصغير القَدّ ، من قولهم : قددت الجلد ، أو من القِدّ بالكسر ، وهو جلد السخلة[١] ، أو يكون تصغير القدد ، من قوله تعالى : (طرائق قدداً)[٢] وهي الفرق . وسئل كُثيّر[٣] ، فقيل له : لِمَ سمي قُديدٌ قديداً ؟ ففكر ساعة ثم قال : ذهب سيله قُدداً[٤] ، وقديد اسم موضع قرب مكة ، قال ابن الكلبي : لما رجع تُبّع من المدينة بعد حربه لأهلها ، نزل قديداً ، فهبت ريح قدّت خيم أصحابه فسمي قديداً .. وبذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات :

قل لقنـد تشيّـع الأظعانـــا
وبما سرّ عيشنـــا وكفانـــا
صادراتٍ عشـيّة عن قُديد
واردات مع الضحى عسفانا

وينسب إلى قديد حزام بن هشام بن حبيش بن خالد بن الأشعر الخزاعي القديدي ، من أهل الرقم بادية بالحجاز ، روى عن أبيه وأخيه عبد الله بن هشام ، وعمر بن عبد العزيز ، ووفد عليه مع أخيه ، روى

(١) السخلة : ولد الشاة .
(٢) الآية من سورة الجن .
(٣) إذا أطلق هذا الاسم دل على كثيّر عزة وكان خزاعياً ، ومعروف أن سكان قديد كانوا من خزاعة .
(٤) أي متفرقاً ، ويدرك من يشاهد موقع قديد المنفسح أن سيله قد يذهب قدداً فيشت في أكثر من ميل .

عنه عبد الله بن إدريس ، والقَعْنبي عبد الله بن مسلمة ، ومحرز بن مهدي القديدي ، وأيوب بن الحكم ، إمام مسجد قديد ، ووكيع أبو سعيد مولى بنى هشام ، والواقدي ، ويسرة بن صفوان ، ويحيى بن يحيى النّيسابوري ، وغيرهم ، وكان ثقة ، وأبوه هشام أدرك عمر ابن الخطاب ، وسافر معه ، وبقي حتى أدرك عمر بن عبد العزيز » ا . هـ .

أمّا أبو عبيد البكري ، صاحب (معجم ما استعجم) فيقول فى مادة قديد :

« قرية جامعة ، مذكورة فى رسم الفُرُع ، وفى رسم العقيق ، وهي كثيرة المياه والبساتين . روى ابن عباس أن النبي ﷺ ، صام حتى أتى قُديداً ، ثم أفطر حتى أتى مكة .

هكذا روى شعبة عن الحكم ، عن مِقسم عن ابن عباس ، والعلاء بن المُسيَّب عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، وروى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس : فصام حتى بلغ الكَدِيد ثم أفطر ، وهذه الرواية أصح وأثبت . وبين قُديد والكديد ستة عشر ميلاً ، والكَديد أقرب إلى مكة ، وسميت قُديداً ، لتقدد السيول بها ، وهي لخزاعة ، وبقديد كانت وقعة الخارجي الذى يقال له : طالب الحق ، مع أهل المدينة ، فقالت المدينة ترثيهم :

يا ويلتـا ويلا لِيَهْ أفنت قديد رجالِيَهْ

وهناك مات القاسم بن محمد حتف أنفه[1] وفى الكتب القديمة أن قديداً هو الوادى الذى وقعت فيه الريح بسليمان ، وأنه هو الذى أتى فيه بصاحبة سبأ ، والمشلّل من قديد ؛ وبالمشلل كانت مناة التى كانوا يعبدونها ، وقال مالك : «كانت حذو قُديد ، وكان الأنصار قبل أن يسلموا يهلون بمناة الطاغية » ا.هـ .

هذا : وقد قال محقق الكتاب ، وهو الأستاذ (مصطفى السقا) فى الهامش ص ١٠٥٤ فى التعريف بالخارجي طالب الحق مانصه :

«لعل البكري يريد وقعة أبى حمزة الخارجي مع أهل المدينة ، جاء فى هامش ق بخط مغربي : خرج أهل المدينة فالتقوا بقديد يوم الخميس لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومئة ، ومضى أبو حمزة إلى المدينة ، قد خلفها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاثين ومئة » ا.هـ.

وعرف ياقوت في (معجم البلدان) المشلل ، في مادته ، قائلاً :

« المُشلل : بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً ، والشل الطرد ، وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر ، قال العرجي :

(١) هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ١٠٧ هـ بقديد حاجاً أو معتمراً . (الأعلام) .

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطناً
ومن جاء من عمق ونقب المشلل »

إلى آخر الأبيات الأربعة التى ذكرها .

أما البكري فى (معجم ما استعجم) فيقول فى المادة ما يلى :

« المشلل : بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وفتح اللام وتشديدها ؛ وهي ثنية مشرفة على قُديد ، وبالمشلل دفن مسلم بن عقبة[1] ، فنبش وصلب قال مزرِّد :

تدب مع الركبان لا يسبقونها
وصلت بجنبي عَزْوَرَ فالمشلل

قال يعقوب : عزور : واد قريب من المدينة . والمشلل : جبل وراءه على موطىء الطريق ، قال : نُصيب :

عفا سرب الخيل الدميثُ المحللُ
ففرشَ الجبيل بعدنا فالمشللُ
فذو سلم فالصفح إلاّ منازلاً
بها من (مغانيها حديثٌ ومحولُ

(١) هو المري ، صاحب وقعة الحرّة بالمدينة مات سنة ٦٣ هـ حينما كان متوجهاً بعسكره ليحارب ابن الزبير فى مكة .

سرب : بلد هناك ، وكذلك الفرش وذو سلم ، وقال عمر بن أبى ربيعة :

وقد هاجنى منها على النأي دمنة
لها بقديد دون نعف المشلل

وقد تقدم ذكره في العقيق » ا. ه .

وهكذا نرى البكري قد أحالنا إلى مادة العقيق ، فإذا رجعنا إليها وجدناه يقول فيما يتعلق بقديد :

« .. من الجحفة إلى كُلَيَّة[1] اثنا عشر ميلاً ، وهي ماء لبنى ضَمْرة ، ومن كُلَيَّة إلى المشلّل تسعة أميال ، وعند المشلّل كانت (مناة) فى الجاهلية[2] ، وبثنية المشلل دفن مسلم بن عقبة ، ثم نبش وصلب هناك ، وكان يرمى كما يرمى قبر أبى رِغال ، ومن المشلل إلى قديد ثلاثة أميال وبينهما خيمتا أم معبد[3] ، ومن قديد إلى خُليص عين ابن يزيع

(١) لا تزال تحتفظ باسمها إلى الآن .

(٢) المشلل ، جبل مستطيل غربي قديد أو فى شماله الغربي ، لا يعرف بهذا الاسم الآن ، ولكن الأهالي يسمونه اليوم ملح أو مليح وإلى يسار الهابط من هذا الجبل توجد أكمة وقبور ، ويسمى الأهالي هذا الموضع (أمانات) تحريفاً من (مناة) والمسافة من الجبل إلى قديد هي حوالي ثلاثة أميال كما هو فى هذا الوصف ، أما سبب إطلاق الأهالى على الجبل اسم مليح فيقولون إن فى ضلعه من ناحية قديد كانت تجرى عين ماء تم دفنها فى إثر حرب بالملح ، لئلا يستفاد منها فسميت ملحة وسمى الجبل على اسمها . ويسميه بعضهم دقم الحرجة .

(٣) معنى هذا أن خيمتي أم معبد لم تكن فى قديد ذاتها ، وإنما قريباً منها بينها وبين المشلل ، وما قارب الشيء أعطى حكمه .

سبعة أميال ، وكانت عينا ثُرّة عليها نخل وشجر كثير ومشارع ، خرّبَهَا إسماعيل بن يوسف(١) ، ففاضت العين ، ثم رجعت بعد سنة ثمانين ومئة ، ومن خُليص إلى أَمَج إلى الروضة أربعة أميال ، ومن الروضة(٢) إلى الكديد ميلان ، ومن الكديد إلى عسفان ستة أميال ، وغزال ثنية(٣) عسفان تلقاها قبله بأرجح من ميل ، وعند تلك الثنية وادٍ يجيء من ناحية ساية(٤) يصب إلى أمج .» .

«.. ومن عسفان إلى كراع الغميم ثمانية أميال ، والغميم ؛ واد ، والكُراع : جبل أسود(٥) عن يسار الطريق .. طويل ، شبيه بالكراع ، وقبل الغميم بميل سقاية العدني(٦) ومسجده ، وعلى إثر ذلك موضع يقال له مسدوس(٧) ، آبار لبعض ولد أبي لهب ، ومن كراع الغميم إلى

(١) أظنه إسماعيل بن يوسف الطالبي (ت ٢٥٢ هـ) من ذرية الحسن ، ثائر لقب بالسّفاك ظهر بمكة واستولى عليها سنة ٢٥١ هـ وطرد واليها وزحف إلى المدينة ، ثم رجع إلى مكة ثم إلى جدة ، وأخذ أموال التجار ، وقتل الحجاج بعرفة وسلب ونهب ، ولقي الناس منه عنتاً إلى أن مات بالجدري (يراجع الأعلام) .

(٢) اسمها الآن، الروضة في الشمال الشرقي لخُلَيص ، أما أمج فلم يعد يعرفه الأهالي الآن .

(٣) الثنّية موجودة الآن ،ونحل، نفس الاسم في الجنوب .

(٤) **الوادى ساية يحمل نفس الاسم ويصب في خليص .**

(٥) اسمه الان ابو هماح .

(٦) هي الآن بئر تسمى المحسنية ، (أما المسجد فليس له وجود الآن ..) .

(٧) الآن يسمى مدسوس .

بطن مرّ خمسة عشر ميلاً ، وقبل كراع الغميم بثلاثة أميال الجنابذ[1] آبار وقباب ومسجد ، وهي لمنصف بن عسفان وبطن مرّ . ودون مرّ بثلاثة أميال مسلك خشن ، وطريق زقب (أي ضيق) بين جبلين ، وهو الموضع الذى أسلم فيه أبو سفيان[2] وأمر رسول الله ﷺ عمه أن يحبسه هناك حتى يرى جيوش المسلمين» ا. هـ .

أما الكديد الذى تردد ذكره ، فإن صاحب (معجم ما استعجم) يقول عنه فى مادته : «بفتح أوله وكسر ثانيه ، بعد دال وياء .. موضع بين مكة والمدينة بين أمج وعسفان وهو ماءُ عين جارية ، عليها نخل كثير لابن محرز المكي ،قد مرّ ذكرها فى رسم الربذة وسيأتى تحديدها بأتم من هذا فى رسم العقيق»[3] وأشار صاحب (معجم ما استعجم) فى مادة الفُرُع حيث ذكر أن الفُرُع من أشرف ولايات المدينة ، وصاحبها يجبى اثني عشر منبراً : منبر بالفرع ، ومنبر بمضيقها على أربعة فراسخ منها ، يعرف بمضيق الفُرُع ، ومنبر بالسوارقية ، وبساية ، وبرهاط ، وبعمق الزرع ، وبالجحفة ، وبالعَرْج ، وبالسقيا وبالأبواء ، وبقديد ، وبعسفان ، وباستارة . هذه كلها من أعمال الفرع .

---

(١) تسمى الآن المصينع ، والمسجد ، يقول أهل عسفان إنه توجد آثاره .
(٢) يسمى الموضع الآن الريعان والمحلة تسمى محلة رشيد .
(٣) بالنّسبة لكديد يغلب على ظن الأهالى أنها هي (الكتادية) .

وهكذا نرى أن قديداً ، كانت تعد من أعمال الفُرُع ، وأن الفرع كلها من أعمال المدينة .

وبعد ، فهذا ماانتهى إليه البحث ، ولله الحمد أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين ...

المصادر والمراجع

١ - أسد الغابة .

طهران ، المكتبة الإسلامية .

٢ - الإصابة .

القاهرة ، طبعة نهضة مصـــر .

تحقيق علي محمد البجاوي .

٣ - الأعلام .

الزركلي ، بيــروت ، الطبعة الثانيــة .

٤ - الإعمال .

ابن ماكولا ، الدكن ، حيدر آباد .

٥ - إنسان العيون (السّيرة الحلبية)

القاهرة ، مصطفى البابي الحلب،١٣٨٤هـ.

٦ - البداية والنهاية .

ابن الأثير،القاهرة،مطبعة السعادة ١٣٥١هـ.

٧ - بلاغات النّساء .

ابن منظور،بيروت،دار النهضة الحديثة ١٩٧٢م

٨ - تاريخ ابن عساكر .

مطبعة روضة الشــام ، ١٣٢٩ هـ .

٩ - تاريخ الطبـــرى (ج ٢) .
القاهـــرة ، دار المعـارف .
١٠ - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال
بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .
١١ - الخصائص الكبرى للسيوطى .
بيروت ، دار الكتب العلميـة .
١٢ - دلائل النّبوة لأبى نعيم الأصفهانى
بيروت ، تصـوير عالم الكتب .
١٣ - ديوان حسان بن ثابت .
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
تحقيق د . سيد حنفى حسنين
١٤ - ربيع الأبرار للزمخشري .
بغداد ، سلسلة إحياء التراث .
تحقيق د . سليم النعيمي .
١٥ - الروض الأنف .
القاهرة ، دار النصر للطباعة ، ١٣٨٧ هـ .
تحقيق عبد الرحمن الوكيل .
١٦ - زاد المعاد لابن القيم .
القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

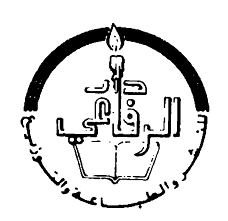
١٧ - الاستيعاب لابن عبد البر .
القاهرة ، مكتبة نهضة مصـــر
١٨ - سيرة ابن هشام .
القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥ .
تحقيق مصطفى السقا ورفيقه .
١٩ - شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني
بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٣ هـ .
٢٠ - شمائل الرسول ، لابن الأثير.
بيروت ، دار المعــرفة .
تحقيق مصطفى عبد الواحد .
٢١ - طبقات ابن سعد .
بيروت ، دار بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
٢٢ - غريب الحديث ، لابن قتيبة .
بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٧ م .
تحقيق د . عبد الله الجبوري .
٢٣ - الفائق في غريب الحديث .
الزمخشري ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .
٢٤ - فتح الباري ، لابن حجر .
القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٧٨ هـ .

٢٥ – لسان العرب ، ابن منظور .
٢٦ – المحبر ، لابن حبيب .
بيروت ، دار الآفاق الجديدة
٢٧ – المستدرك على الصحيحين ، للحاكم
بيـروت ، دار الكتاب العرب
٢٨ – معجم البلدان لياقوت .
٢٩ – معجم مااستعجم للبكري .
القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦
٣٠ – الوفا بأحوال المصطفى ، لابن الجوزي .
القاهرة ، دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٦ هـ
تحقيق مصطفى عبد الواحد

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٩
حديث أم معبد ١٥
شرح الحديث ٢٣
تخريج الحديث ٢٧
وقفة تجاه المتن ٤٣
وقفة فنية ٥٣
ملحقات القصة ٥٥
من هي أم معبد ٦١
قديد ٧٧
الفهارس ٨٧
فهرس المصادر والمراجع ٨٩
فهرس الموضوعات ٩٣



منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص.ب : ١٥٩٠
الرياض : ١١٤٤١



الكتاب والكاتب

أما الكاتب ـــ عبدالعزيز الرفاعي ـــ فهو صاحب سلسلة «المكتبة الصغيرة» وقد كتب بقلمه أعداداً من سلسلته تلك.. وفي بعضها تعريف موجز به، ظهر على بعض أغلفتها، بل على وجه التحديد في كتيب (خولة بنت الأزور).

أما هذا الكتيب فيبدأ به سلسلة جديدة هي من دفاتره الخاصة.. بعضها قديم يزمع إخراجه إن شاء الله، وبعضه جديد مما يكتبه اليوم.. مثل هذا الكتيب.

وقصة كتابة هذه الرسالة؛ أن الكاتب دار حول السيرة النبوية في بعض ما كتب عن (كعب بن مالك) و(أم عمارة) و(ضرار بن الأزور) و(زيد الخير).. ولكنه لم يطرق الباب الرئيسي للسيرة النبوية العطرة.. حتى كانت محاولته هذه في الكتابة عن (الرسول كأنك تراه)، فبدأ الحديث بحديث (أم معبد) في وصف رسول الله ﷺ.. إذ استوقفه هذا الوصف البارع، بما فيه من دقة وبلاغة وجمال.

ولم يرد الكاتب أن يستأثر بهذه الوقفات المتأملة وحده، بل أراد أن يشترك معه القراء فيها.. فكان هذا الكتيب الذي يقدم فيه حديث (أم معبد) مشروحاً مع شيء من التعليق والتحقيق.. وبالله التوفيق.